

الجزيرة .. والإسلامقراطيون
"الديموقراطية.. تلكُ الزَّفة الكاذبة"
"المرقِّعون في الأرض"
"الجزيرة وجواريها"
"شحيبر وشركاؤه المتشاكسون"
علي فريد الهاشمي
علي فريد الهاشمي

الديمقراطية.. تِلكَ الزَّفَةُ الكَاذِبَة

الذي بعثوه بِوَرِقِهم إلى المدينة لِينظرَ أيُّهَا أزكَى طَعامَاً، اكتشف الفاجعة!!

والذي قالَ لهما: "يوسفُ أعرِض عن هذا واستغفري لذنبك" اكتشف -وهو العزيز- أن زوجتَه ليست عزيزة!!

والذين دَلَّتهُم على مَوتِهِ دابةُ الأرضِ تَأكلُ منسَأَتَه، عَرفُوا حَقيقَتَهم بَعدما لبِثُوا في العذاب المهين!!

أبشعُ ما يُمكن أن يَحدثَ لكَ أن تَطولَ مُدّةُ وَهْمِك.. وأبشعُ الوهمِ الوهمُ المقدس؛ طُولُه عَنَا، وقِصَرُه ضَنى، وأنتَ بين العَنَا والضنى كالسائرِ في أرضِ شوكٍ موحلة؛ إن اتقى الشوكَ لم يَسْلَمْ من الطين، وإن اتقى الطينَ لم يَسْلَمْ من الشوك.

الوهمُ متاهةُ الشيطان.. دَركَاتٌ بَعضُها فوقَ بَعض، في كُلِّ دَرَكَةٍ عالمٌ من الرغبة والرهبة، تُسلِمُكَ الدَّركةُ لأُختِها؛ تَرى خيراً فيه بعضُ الشر، ثم ترى شَراً فيه بعضُ الخير، ثم شَراً محضاً لا خير فيه؛ يستزلك له الشيطان ببعض ما كسبت يداك؛ فإن دَلفتَ بَوابَتَه فلن تلبثَ أن تَصِلَ قَعْرَه!!

**

لا وجودَ للإسلامِ في الديمقراطية..

ولا وجودَ للديمقراطيةِ في الإسلام..

مَنْ قال لكم غيرَ هذا فلا تُصدقوه..

إِنْ كانَ عَالِماً فهو كاذب، وإن كان جَاهلاً فَحَسْبُكم جَهلُه!!

الديمقراطيةُ- عند التحقيقِ- كُفرٌ محض لا فَرقَ بينها وبين السجود لِلّاتِ والعُزَّى وهُبل؛ إلا كالفرق بين الإلحاد والعَلْمَنة؛ كِلاهُما يُسلِّمُ للآخر:

الإلحادُ يَنفِي المُوجِدَ عن الوجود..

والعلمانيةُ تُقصِي المُوجِدَ عن حُكم الموجود..

والديمقراطية تَرْهَنُ إرادةَ المُوجِدِ بإرادةِ الموجود..

ومن أثبتَ اللهَ وأقصى حُكمَه كان كمن نفى الله وأنكرَ وجوده؛ فإن رباً لا يَحكمُ ولا يَتصرفُ هو والعَدمُ سَواء!!

ومَن رَهَنَ إرادةَ الله بإرادةِ خلقه سَلَبَهُ أُلوهيَّتَه وأضفى على خَلقِهِ ما سَلَبَهُ منه؛ فصارَ اللهُ -بذلك- خياراً ضِمنَ خيارات؛ لا أمرُه أمرٌ ولا نَهْيُهُ نَهْي، وللناسِ "الخِيَرَةُ مِنْ أَمرِهِم"؛ إنْ قَبِلُوا حُكمَه فَعَّلُوه، وإنْ رَفَضُوا حُكمَه عَطَّلوه.. فَأيُّ إلهٍ هذا الذي الإلحادُ يَنفيه، والعلمانيةُ تُقصيه، والديمقراطية تجعله خياراً لعبيده ومواليه؟!

الديمقراطيةُ بنتُ العلمانية، والعلمانيةُ بنتُ الإلحاد، ويوشك مَنْ خَطبَ هذه أن يتزوجَ تلك؛ فيجمع بين أختين من شَرِّ أبٍّ!!

***

حِينَ تُدعَى إلى المشاركة في التصويت على مساواة المرأةِ بالرجلِ في الميراث، أو التصويتِ على ما يزعمونها حقوقاً للوطيين؛ فهذه صورةٌ ديمقراطيةٌ خالصةٌ لا إشكالَ فيها.. إنْ ذَهَبتَ فشاركتَ -رَفْضَاً أو قَبُولاً-؛ فقد كفرتَ بالإسلامِ وآمنتَ بالديمقراطية، وإن رَفضتَ المبدأ من أساسه -لِعِلمِكَ أن هذا معلومٌ من الدين بالضرورة لا يجوز مُجردُ المشاركةِ في الاستفتاء عليه-؛ فقد كفرتَ بالديمقراطيةِ وآمنتَ بالإسلام!!

ليس هناك صورة أظهر سواداً ولا بياضاً من هذه الصورة، ومهما حاول الإسلاموقراطيون تلوينَ مساحاتِ الكفر السوداء في هذه الصورة بألوان الإجراءات والآليات الخضراء، فلن يستطيعوا طمسَ معالِمِ الكفرِ الأسودِ فيها.

إذا رأيتَ إسلامُقراطياً يُصرُّ على سَحْبِ أوهامِ نفسِه عن الإسلام إلى الديمقراطية، أو سَحْبِهَا عن الديمقراطية إلى الإسلام، فاعلم أن هذا الطَّيب إنما أُتِيَ من أمرين لا ثالثَ لهما: ضغط الواقع، وقصور قُدراتِه العقلية..

ضغطُ الواقعِ يدفعُ للترقيع، وقصور القدرات العقلية يمنع من إدراك أصل المسألة.. وكلا الأمرين يصح أن يكون نتيجةً وسبباً لا يُدرى -أحياناً- أيهما السبب وأيهما النتيجة.. تماماً كالجدلية المربكة عن أولية البيضةِ أو الدجاجة!!

في مُحَاوَلَتِهِ لِجَعْلِ الديمقراطيةِ شورى والشورى ديمقراطية، يَغْفَلُ هذا الطَّيبُ أو يتغافل عن اختلافِ المركزِ في المنهجين، فالمركز في الشورى هو الله، أما في الديمقراطية فهو الشعب -وليتَه كَان- وَبِحَسَبِ المركزِ تكونُ الأطراف، وبِحَسَبِ المُنطلقاتِ تكونُ النتائج!!

أخبثُ ما في الديمقراطية أَنَّ خبثها شديدُ الخفاء شديدُ الوضوح، (كالنظَّارة)، -لطولِ ملازمتِها وَجهَكْ- تصبحُ كأنها عضوٌ فيه، فتبحث عنها -أحياناً- وهي فوق أنفك!!

تَسحَرُكَ الديمقراطيةُ بآلياتها وإجراءاتها وانتخاباتها وصناديقها وحريتها ومساواتها، فتظن أن تلك الأشياء هي الديمقراطية، فإذا سمعتَ من يصفها بالكفر، انتفضتَ كالملدوغ مستنكراً أن تكون الحرية والمساواة والاختيار والاستفتاء وحكم الشعب لنفسه كُفراً؟!

وليس غالبُ هذا كفراً، ولكنهم سحروا عينيك بروضةٍ غَنَّاء نبتت في مستنقع، وَسَقوكَ ماءَ المستنقع مُقَطَّراً، فنسيتَ أصلَه الخبيث بِطَعْمِهِ المُستحدث!!

كُفرُ الديمقراطية في فلسفتها الأيدلوجية وليس في (غالب) إجراءاتها العامة التي يمكن أن توجد فيها وفي سواها.. وفلسفتُها تقول لك: الديمقراطية هي: حكم الشعب للشعب بما يختاره الشعب؛ فما أقره الشعبُ وجب إقرارُه حتى لو حَرَّمه الله، وما رفضه الشعبُ وجب رَفْضُه حتى لو فَرَضَهُ اللهُ؛ فصار الشعبُ بذلك إلهاً يُشرِّعُ لخلقٍ لم يخلقهم، وصار اللهُ بذلك- وحاشاه جل وعلا- مجردَ خيارٍ لخلقه الذين خَلَقَهُم.. والله جل وعلا لم يقل: وَرَبُّهُم شورى بينهم؛ بل قال:" وأمرهم شورى بينهم"، ولم يقل: وشاورهم في الله، بل قال: "وشاورهم في الأمر". ولم يقل: وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الشعبُ ودستورُه أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم، بل قال: "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم".

لكَ -كإنسانٍ- أن تختارَ أيَّ دينٍ تريد، "لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي"، فإذا اخترتَ الإسلامَ ديناً فليس لكَ بعده -كمسلمٍ- أن تختارَ غيرَ شريعته حُكماً ونِظاماً؛ فإذا زعمتَ -وأنت مسلمٌ تحققت فيك الشروط وانتفت عنك الموانع- أنَّكَ حُرٌّ في اختيارِ شريعةٍ غير شريعة الإسلام؛ فقد صدقتَ بعضَ الصدق في كونك حراً وكذبتَ كُلَّ الكَذِبِ في كونك مسلماً.. كيف تُعطِي لنفسكَ حُريةَ الخروج عن شريعة الإسلام ثم تمنع الإسلامَ من حرية تسمية هذا الخروج كفراً؟! مَن أنتَ لتفرض على الإسلام أهواءَكَ ثم تُجبره على أن يبقيك ضِمنَ دائرته؟!

لقد أوهموكَ أن الديمقراطية هي إجراءاتُها وآلياتُها فَرُحْتَ تَلوكُ مُصطَلحاتِها الضخمة عن الحرية والمساواة وحكم الشعب لنفسه.. وليتهم -حين خدعوك بهذا الكفر المُأَسْلَم- جعلوا الشعبَ حاكماً على الحقيقة، أو أفهموكَ ماهيةَ هذا الشعب الذي تُقضى الأمور باسمه وليس له فيها ناقةٌ ولا جَمَل.. إنما هي النُخَبُ العسكرية والاقتصادية والإعلامية التي تتلاعب بعقول الشعب فتجعل الحقَّ باطلاً والباطلَ حقاً ثم تُوجِّه العامةَ والغوغاءَ وأنصافَ المتعلمين إلى اختيارٍ بعينه -يُختارُ لهم- ويظنون أنهم أحرار في اختيارهم!!

الإنسانُ كائنٌ عقائدي لا يمكن أن يعيش -غالباً- بغير دين حتى لو كان ديناً كاذباً، ولو فتشت وراءَ غالب هذه الأفكار التي تموج بالبشر ويموج بها البشر في شتى مناحي الحياة؛ لوجدتَ ديناً ما، أو فلسفةً ما، أو عقيدةً ما!!

لن تستطيعَ- واقعاً- نَزعَ أيَّ مَذهَبٍ من أصله الفلسفي لتكتفي بآلياته وإجراءاته، كما لا يمكن للآليات والإجراءات أن تخلو تماماً من انعكاسات الأصل الفلسفي عليها.. قد تتفق بعضُ آليات الشيوعية مع بعض آليات الديمقراطية؛ لكنك سَتَلَمَسُ بوضوح بصماتِ المنهجين في آليات هذه وتلك.. بل إن ظهور المذهب بثوبٍ مختلف في فرعٍ غيرِ أصله الفلسفي سيُشيرُ بالضرورة إلى الأصل الفلسفي؛ تماماً كما تشير الفكرةُ الحداثيةُ الأدبيةُ الحمقاءُ عن (موت المؤلف) إلى الفكرةِ الفلسفيةِ الأيدلوجيةِ الكافرةِ عن (موت الإله)؛ هذه مِنْ تلك وإن تمظهرت في الأدب بغير مظهرها في الفلسفة!!

الآلياتُ اجتهادٌ بشريٌ خاضعٌ للزمان والمكان والظروف والسياقات، ولكن مِن المحال عقلاً وواقعاً أن يختفي الأصلُ العقدي تماماً من آلياته؛ وإلا كان الأصل ناقصاً غير مكتمل.. الإسلام دينٌ قانونه الشريعة (الحكم لله، والسيادة للشريعة، والسلطة للأمة)؛ وحين يُطَبَّقُ هذا القانون بإجراءاته وآلياته الخاضعة للاجتهاد البشري لن يُطبق إلا من خلال اتكائه على الأصل العَقَديِّ له، وكُلُّ إجراءٍ يتعدى الاجتهادُ فيه دائرةَ أصلِهِ لا يُعَوَّلُ عليه؛ لأنه يُسقطُ الأصلَ أو يُشوهه.. وأغلب الظن أن الإيغال في تتبع الآليات والإجراءات بغير تحرز وضبط شديدين؛ سيصل بنا إلى الحوم حول حمى المبادئ الكفرية ذاتها، ومن حَام حَول حِمىً يوشك أن يَرتَعَ فيه؛ تماماً كما رَتَعَ قسطنطين بالنصرانيةِ في الوثنيةِ فأخرجَ للناسِ ديناً (وَثْنَصْرانِيَّاً) ليس فيه من النصرانية سوى الأسماء!!

كان العلمانيون والليبراليون يشغبون على الإسلاميين فيُذَكِّرُونَهم أن الديمقراطية ليست صناديق اقتراعٍ فقط؛ بل أصولاً فلسفية خاصة وقواعد مبادئية عامة لا بد من التوافق عليها

قبل الوصول لمرحلة الاقتراع.. وما رأيتُ أحداً منهم بَدَأ بخدعة الآليات الإجرائية إلا انتهى إلى الفلسفة دون أن يدري، حتى صرتُ أشك أن المؤمنَ بالآليات دون الفلسفة كائنٌ خرافيٌ لا وجود له كالغول والعنقاء والخِلِ الوفي!!

ثم هَبْ أن الآلياتِ متوافقةٌ مع الإسلام أو لا يرفضها الإسلام.. لماذا نُصِرُّ على استخدامِ المصطلح الغربي؟!!

المصطلحُ هُويَّة.. والهُوية: دينٌ ولغةٌ وثقافةٌ وحضارة؛ فكأن المصطلحَ مرآةٌ تعكس الهُويةَ بأجزائها مفرودةً في صُوَر، أو إضبارةٌ تختزل أجزاء الهُوية بِكُلِّيِّتِهَا مُكثَّفَةً في حروف.. مصطلحاتُ كلِّ قومٍ هُويتُهم، وبقدر استخدامك مصطلحاً بعينه بقدر عُلوِّ هُويةِ هذا المصطلح وأهله في نفسك وسُفُول نفسِك وهُويتك فيها؛ فإذا استخدمتَ مصطلحَ قومٍ فقد غَلَّبَتَ -دريتَ أو لم تَدرِ- دينَهم على دينِك، ولغتَهم على لغتِك، وثقافتَهم على ثقافتَك، وحضارتَهم على حضارَتك.. وأَيِّ شيءٍ يبلُغُه الغالبُ في المغلوبِ أكثرَ مِن هذا؟!

(الديمقراطية والشورى) مصطلحان متضادان بالكلية ينتميان لحضارتين مختلفتين بالكلية، ويحملان في حروفيهما حمولاتٍ وإيحاءاتٍ وظلالاً تاريخية وعقدية وثقافية ولغوية وحضارية لا يمكن -بهذه الحمولات والإيحاءات- أن يمتزجا في نفس إنسان وروحه وعقله أبداً!!

المصطلحُ احتِلَالِيٌّ بِطَبْعِه، يحمل وجهَ حضارته وفلسفتها.. هو شِعَارُهَا ودِثَارُهَا؛ تماماً كورقة العملة أو أعلام البلدان؛ رموزٌ موحيةٌ مختزلةٌ في ورق أو قماش أو حروف أو مخترعات.. وهو-بحسب الأنا والآخر- أداةُ احتلالٍ وتبعيةٍ واستلاب، ونقيضُه أداةُ مقاومةٍ وأصالةٍ وتَحَرر.. وهنا تكمن مراوغة المصطلح كما تكمن خدعة المُصطَلِحِيْن؛ فالذين سموا الاحتلال استعماراً أرادوا تخفيف وقعه البغيض على النفوس، تماماً كما سموا (اللوطيةَ) (شذوذاً) ثم (مِثلِيَّة)؛ ليخففوا بشاعة انتكاس الفِطرةِ في النفوس؛ فمصطلح اللوطية يُشيع في النفس إحساساً جارفاً

بالإثم الديني يتبعه نفورٌ مجتمعي، ومصطلح الشذوذ يُسقط الإحساس بالإثم الديني ويُثبت فقط معنى مخالفة المجتمع عُرفاً وتقاليداً.. أما مصطلح المثلية، فهو مصطلح محايدٌ تماماً يخلو من إيحاءات الإثم الديني والمخالفة المجتمعية معاً، بل ويميل إلى دفع الناس لقبول اللوطيين وتقبلهم.. وقس على هذه الأحابيل الخادعة ما يحدث في مصطلحات كثيرة، مثل: حقوق الإنسان، وتحرير المرأة، والمشروبات الروحية.. وغيرها من المصطلحات التي يُرققون بها بشاعة ما يرتكبون فيها!!

إن استعلاءنا بمصطلحات ديننا هو الخطوة الأولى لاستعادة هويتنا التي تمثل الدين واللغة والثقافة والحضارة، وليس هذا رفضاً للآخر أو احتقاراً له، بل هو اكتفاء ذاتي بما نملك.. وما نملكُ عظيمٌ لو تدبرناه!!

دُونكَ هذه الإجراءات فأخبرني أين الإسلام فيها:

غَضِبَ البعضُ لمجرد الدعوة إلى مناقشة مساواة المرأة بالرجل في الميراث، أو الاستفتاء على ما يزعمونها حقوقاً للوطيين.. وإنه والله لغضبٌ حميدٌ محمودٌ يدل على وجود بقيةِ عقلٍ إن كان قد ذهبَ الدين.. ولكن أليست هذه هي الديمقراطية الإجرائية التي تريد؟! أليست هذه هي الآليات؟! إنها مجرد مناقشة!!

- ولكن شرع الله لا يُناقَش!!

- مَنْ تحدث الآن عن شرع الله؟! نحن نتحدث عن الديمقراطية!!

ـ ولكن الديمقراطية التي أفهمها وأريدها لا تخالف شرع الله، هي مجموعة من الإجراءات تنظم حياة الناس ضمن الأُطر الدينية!!

ـ لا، هذه ليست الديمقراطية، أنت تتحدث الآن عن الشورى.. الشورى: حكم المسلمين للمسلمين وغيرهم بشرع الله.. الديمقراطية: هي حكم الشعب للشعب بما يختاره الشعب، فإذا اختار الشعب نظاماً معيناً للحكم فلا راد لاختياره، سواء أكان هذا النظام موافقاً أم مخالفاً للإسلام.. الشعبُ هو البَدء والمنتهى!!

ـ ولكن، أين الله؟!

ـ في السماء!!

ـ أنا لا أمزح!!

ـ ولا أنا.. إذا زاد عدد المصوتين على إعطاء اللوطيّ الحقَّ في اللواط، فإن الديمقراطية لا تفرض عليك ذلك حَسْب، بل وتفرض عليكَ أيضاً تَقَبُّلَ لوطيَّتَه بصدر رحب والكَفَّ عن تسميته لوطياً!!

- ولكن الله يقول غير ذلك!!

ـ نحنُ نتكلم عن إرادة الشعب ورغباته فقط!!

- ولكن الله...

- نعم، الله موجود ولكنه ليس الحَكَمَ هنا، الصندوق هو الحَكَم، ألم تَرضَ بالصندوقِ ابتداءً؟! ألم تجعله مصدرَ الأمرِ وقُطبَ رَحَاه؟!

- نعم، جعلته كذلك، ولكن فيما لا يخالف شرع الله!!

- ما هذا العبث.. قلت لك هذه ليست ديمقراطية!!

- ولكن الديمقراطية فيها (مبادئ فوق دستورية) لا يجوز مناقشتها أو المساس بها!!

- هذا صحيح تماماً، ولكن.. حتى هذه المبادئ لا بد أن يتفق عليها الشعب أولاً.. مَرَدُّ عدم المساس بهذه المبادئ هو الشعبُ وليس الله، فإن وافق الشعبُ فبها ونعمت، وإن لم يوافق فلا يجوز فرض مبادئ معينة عليه لأن مجموعة من المتخلفين القادمين من عصر الجمل أرادت ذلك!!

- ولكن الله والإسلام..

- لا تُكثر الكلام، الشعبُ هو البَدء والمنتهى، هل أنت موافق؟!

- لا، لستُ موافقاً..

- جميلٌ جداً، الديمقراطية أيضاً فيها معارضة، أَنشِيء حزباً سياسياً معارضاً ضمن الإطار الديمقراطي، واعلم أننا سنناقش في برلماننا كلَّ شيء، حتى الصلاة إذا كانت ستُعطل الإنتاج سنمنعها إن رأت الأغلبية ذلك، ولتُصَلِّ أنتَ في بيتك حين تعود إليه مساءً!!

- ولكن، هذا كفر!!

- ربما.. ولكنها إجراءات الديمقراطية التي صدعت رؤوسنا بالمطالبة بها!!

***

هذه هي الصورة على الحقيقة.. ومهما حاولنا تجميل قُبحِهَا أو أَسْلَمَةَ كُفرِهَا فلن نستطيع.. لقد قالها رفعت المحجوب قديماً -كما ذكر أبو مصعب السوري عليه من الله شآبيب الرحمة حياً ومنتقلاً- حين رفض ممثلو الإسلاميين في مجلس الشعب التصويتَ على قانون مخالف للشريعة، ولَمَّا تم إقرار القانون لقلة أصواتهم؛ أخبروا المحجوب أنهم يبرؤون إلى الله من هذا القانون المخالف للشريعة، فَذَكَّرَهُم بالقاعدة الدستورية التي تقول: إن القانون لا يأخذ شرعيته إلا من طرحه للتصويت قبولاً ورفضاً.. ورفضُهم للقانون وفق معايير الديموقراطية هو سبب إقراره،

فقد أُتيحت الفرصة للاستفتاء عليه تأييداً ومعارضةً؛ فصاروا بتصويتهم بالرفض مشاركين دستورياً في إقرار قانونٍ مُحَرَّمٍ دِينياً!!!

يا الله.. إنه خلاط التفاصيل الذي ضَرَبُوهم فيه.. إنه النظام العالمي الذي ظنوا- واهمين- أنهم يستطيعون خلخلة أصولِه من داخله فخلخلَ هو أصولهم وأسقطَهَا.. إنه روضةُ المستنقع التي أعجبتهم خضرتُها فدخلوها فدوخهم عَفَنُ رائحتِها فلما لم يستطيعوا الخروج منها اعتادوا العفن!!

ظَنُّوه تَدَرُّجَاً فكانَ استِدرَاجَاً.. ظَنُّوهَا حُديبيةً فكانت أُحُدَاً!!

وَضَعَ الكفارُ لهم أصولَ اللعبة، وحددوا لهم مسارات الحركة، واستدرجوهم ببعض المكاسب التافهة؛ فصاروا يرون قطعةَ الجُبن ولا يبصرون الفخ، وكلما حاولوا التملص والخلاص وضعوا لهم قطعة جُبنٍ أخرى في فَخٍّ آخر.. وهكذا دواليك حتى تحولوا هم أنفسهم إلى فخٍ بلا جبن يُصادُ به غيرهم؛ فكسب الكفارُ بهم ثلاثة مكاسب لم يكونوا يحلمون بها:

استنزفوهم عَقَدِيَّاً حتى تماهت أطروحاتُهم مع أطروحاتِ العلمانية الكافرة، واستخدموهم سياسياً لإضفاء الشرعية على الأنظمة الكفرية العميلة، وَسَوَّقُوهُم دِينياً للتشويش على القوى الإسلامية الأُخرى وإحباط حركتها واتهامها بالاختراق والعمالة!!

لقد صاروا إسلامقراطيين يعبدون الشعب والصندوق من دون الله ويتنازلون عن كل ما لا يمكن التنازل عنه من أجل الكفر الذي اقتنعوا أنهم سيصلون به إلى الإيمان.. وحين وصلوا- وأعطاهم الشعبُ أصواته ورَضِيَ بِعجَرِهِم وبُجَرِهِم-؛ لم يكونوا يملكون من القوة ما يحافظون به على مكاسبهم التي تلبسوا بالكفر من أجلها؛ فَخَسِروا عِنبَ الشامِ وبَلَحَ اليمن، وظهرت الديمقراطية على حقيقتها.. ظهرت أنيابُها ومخالبُها.. وأغلقَ النظامُ العالميُّ الديمقراطيُّ المجالَ العام وفتحَ المعتقلات والقبور.. ثم أبقى مساراتٍ محددةً سلفاً لِبَقِيَّةِ السيفِ وسَقَطِ

المعتقلات والقبور ليستخدمهم من جديد- كما استخدم إخوانَهم من قبل- حتى ينتهي من حفر قبورٍ جديدة وبناء معتقلات أُخرى!!

الكفرُ الذي تلبسوا به لم يوصلهم إلى الإيمان الذي توهموه.. ونحن- وإن عَذَرْنَا الأوائلَ بالجهل حين خدعتهم الديمقراطية بالحرية والمساواة- كيف سنعذر الأواخرَ بهِ وقد ظهرت الديمقراطية على حقيقتها بالأنياب والمخالب؟!

إِنْ كان هؤلاء الأواخر أُجْبِروا على هذا فمن أدخلهم المنظومةَ ابتداءً؟! وإن كانوا لم يعرفوا الواقعَ قبل الدخول فها قد عرفوه بَعدَ الدخول، فهل يستوي الحفاظُ على مكاسب متوهمة ستُنزع منهم عما قريب بالأنياب والمخالب مع شرعنة الكفرِ من خلالهم بالحرية والمساواة؟!

وَيْكَأنَّ الراعي لا يزال يُسَمِّنُ الأغنامَ للذبح، وويكأن الأغنامَ لا تزال ترتعُ وتشكرُ الراعي!!

الذي قال: "صَدَقَ اللهُ وَكَذَبَ بورقيبة" انتقل إلى رحمة الله غير مُبدِّلٍ أو متخاذل وجاء بعده قومٌ لم يكتفوا بمناقشة ما لا يُناقش؛ بل صوتوا- وَهُمُ الأغلبية- على مساواة المرأة بالرجل في الميراث، وزواج المسلمة بالكافر، وإقرار قانون تخفيضات الجمارك على الخمور.. ثم رفعوا الجلسة لأداء صلاة المغرب!!

هذا -واللهِ- هو الوَجعُ المُعَتَّق!!

يُذَكِّرُني (حَمَ) والرمحُ شَاجِرٌ

فَهَلَّا تَلَا (حَمَ) قَبلَ التَّقَدُّمِ؟!

عَبَثٌ أَنِفَ الهالكُ شنودة أن يُقَارِف مِثلَهُ حين رَفَضَ حكمَ المحكمة بإنفاذ الطلاق لعلةٍ غير علة الزنا، وَضَرَبَ بحكمها وبالقانون وبالدولة عرض الحائط قائلاً: "لن نخالف القانونَ الإلهي، ولا أحد يفرضُ قوانينه علينا."!!

ولا قَارَفَهُ رئيسُ الوزراء الأسباني حين قال: "الديمقراطية التي تخالف الدستور أو تتجاوزه لا نعترف بها"!!

ولا قَارَفَهُ ألكسندر دوبريندت أحد أبرز شخصيات حزب الاتحاد المسيحي الألماني حين قال: "تراثنا المسيحي ليس خاضعاً للنقاش، ومن غير الوارد إضافة يوم عطلة إسلامية في ألمانيا."!!

وفي الوقت الذي تُصوِّتُ فيه أنجيلا ميركل وحزبها على قانون اللواط بـ (لا)، يُصَوِّتُ النوابُ المسلمون في البرلمان الألماني على القانون بـ(نعم)؛ لأن اللوطيين يساعدون المسلمين في الحصول على مطالبهم.. هكذا إذن.. اعبد رَبَّنَا سنةً ونعبدُ رَبَّكَ سنة!!

لا زلتُ أذكرُ كلامَ بعضِ إخواننا الطيبين حين كنتُ أحذرهم من هذا الفخاخ، فيقولون:" إنه لا يُتصور في مجتمعاتنا التي يغلب عليها الإسلام أن يوافق المسلمون على تشريع يُصادم صريحَ القرآن وصحيحَ السنة، بل إن هذا مستحيل أيضاً من الناحية الإجرائية لأن كل الدساتير الوضعية في الدول العربية- على ما فيها من عوج- تَنُصُّ على عدم مصادمة أصول التشريع الإسلامي."!!

آه يا وَجَعَ المعرفة!!

هَا قد أَقَرَّ الإسلاميون أنفُسُهم- في المجتمعات المسلمة وغير المسلمة- بما يُصادم صريحَ القرآن وصحيحَ السنة.. فأين أساطيرُ الدساتير عن خَوابِيرِ الدياجير!!

إنهم يخدعوننا..

الديمقراطيةُ لم تكن بالنسبة لنا نظام حُكمٍ قط، بل كانت حصانَ طروادة.. إعادةَ تموضعٍ لفرسانِ مَعبدٍ في حَملةٍ صليبية.. رَشَقةَ نيرانٍ أخيرة لتنظيف أرض المعركة.. حركةَ التفافيةً لفتح

ثغرةٍ فكريةٍ في روح المُسلِمِ وعَقلِه.. وحين لوثوا العقل وشوهوا الروح هَانَ على المسلمين هدمُ حصونهم بأيديهم وأيدي المشركين في الوقت الذي يعود فيه المشركون إلى عقائدهم وهُوياتهم!!

مَا يُسَمَّى الكنيست الإسرائيلي يُقرُّ قانونَ القومية الذي يَجعلُ ما يُسمى إسرائيل دولة يهودٍ فقط، ويحدد القدسَ عاصمةً لها، ويمنع استخدام تاريخ غير التاريخ العبري في المعاملات الرسمية، ويُحَوِّلُ اللغةَ العربية من لغة رسمية إلى لغةٍ ذات وضعٍ خاص، ويضع الديمقراطية في المرتبة الثانية بعد يهودية الدولة!!

الديمقراطية أداةُ حَربٍ وليست نِظامَ حُكم.. وقد استخدموها في كل بلد بما يوائم سياقاته للسيطرة عليه؛ بل استخدموها هُويةً لهم ضد الشيوعية، وروجوها في العالم الإسلامي ليكسبوا بوهم حريتها ومساواتها وعدالتها عقولَ المسلمين.. وحين فَتَحَتْ للإسلاميين بعضَ المجال العام ووصلوا بها إلى الحكم؛ عادوا فأطبقوا عليهم بالانقلابات العسكرية المباشرة، أو بالتفاصيل الديمقراطية الكفرية التي تضع المسلم أمام خيارين: عقيدتِه مع خسارة المكاسب، أو مكاسِبه مع خسارة العقيدة.. ولَعَمْرِي إِنَّ هذا لأبشع من الانقلابات العسكرية المباشرة!!

حُرية التعبير لم تمنعهم من البطش بجارودي وغيره حين شكك في المحرقة!!

حرية الاستفتاء لم تمنع ألمانيا الديمقراطية من رفضها السماح للأتراك المتواجدين فيها بإجراء عمليات تصويت في القنصليات التركية بألمانيا على إعادة العمل بعقوبة الإعدام معللةً ذلك بمخالفته للقوانين الألمانية والقيم الأوربية.. رغم أن معاهدة فيينا١٩٦١م أعطت الحصانة للمقرات الدبلوماسية والقنصلية!!

احترام خيار الشعوب لم يمنعهم من تدبير الانقلابات أو دعمها في كل بلد أرادوا السيطرة عليه وعلى ثرواته: من إيران مصدق، إلى مصر مرسي، مروراً بـ تشيلي، وغواتيمالا، والأرجنتين، وهاييتي، وهندوراس، والبرازيل وفنزويلا، وتركيا!!

زَعْمُ المساواة لم يدفعهم للبكاء على الآلاف المؤلفة التي يقتلونها في مشارق الأرض ومغاربها بأيديهم أو بأيدي عملائهم، كما بكوا على قتلى شارل إيبدو!!

حُرِيَّةُ المعتقد والمرأة لم تمنعهم من حظر النقاب أو الحجاب في بعض ديمقراطيتهم أو تشويهه والانتقاص منه في ديمقراطيات أُخرى!!

الديمقراطية ليست إجراءات.. إنها فلسفةٌ وعقيدةٌ ودين.. عقيدةٌ رَبُّهَا الأَنَا ونَبِيُّهَا الهَوى وقِبْلَتُها المصلحة.. وهي بإطلاقاتها العلمانية ستدُمر البشرية، كما ستدمرها بتقيداتها التشريعية؛ فحين يُقصَى اللهُ عن الوجود ليصبح الإنسانُ رَبَّ نفسه لن يقف أمام إفساده شيء، وحين يستأثر الإنسانُ بحق التشريع يُفسِدُ نظامَ الدنيا بأهوائه المتقلبة ومصالحه المتباينة؛ فلا يبقى مَرجعٌ يرجع إليه سوى الهوى والمصلحة.. وأيُّ نِظامٍ يقوم على الهوى والمصلحة؟!.. مَن أَنِفَ من عُبوديةِ اللهِ اسْتَعْبَدَهُ اللهُ لِكُلِّ شَيء!!

***

إني لأعلمُ أننا -لطولِ تَقَلّبِنَا في حَمأة الديكتاتورية والطغيان- نشتاق العدلَ الذي قامت عليه السموات والأرض.. وهذا مطلب فِطريٌّ لا ينكره أحد.. بل إننا- كمسلمين- مأمورون ببذل الجهد والجهاد لتحقيق إعمار الأرض بالعدل من خلال تحقيق العبودية لله وحده.. بيد أننا نخطيء بشدة حين نَظنُّ أن استخدامنا لمنهجٍ ثَبَّتَ أركانَ الطغيان عندنا سيُحقق لنا العدل المنشود والكرامة الضائعة والحرية المؤودة.. ولئن خُدِعنا مرةً فلا يجوز أن نُخدَعَ أُخرى.

المُعَافِرون في الطريق الخَطأ قد يُشكَرُ جَهدُهم وجِهَادُهم، وتُقَدَّرُ تضحياتُهم ونضالاتهم، ولكنهم -في النهاية- ليسوا أكثر من "عاملةٍ ناصبة" يزرعون البحر ويَغزِلُونَ الهَواء ويبنون على الرمل.. وحقيقٌ بمن وضحت له الطريق ألا يُنكِرَ فضلَ من خَلُصَت نيته وبَذلَ وُسْعَهُ منهم؛ فلو لم يَكنْ لهم من فضلٍ سوى أنهم أرشدونا بخطئهم إلى الصواب؛ لكفاهم ذلك فضلاً!!

نحن كغيرنا من الأمم تجري علينا سُننُ الله كما جرت عليهم، ولكننا -لضغط الواقع ومعايشة أهوال التفاصيل- نتعجل النصر؛ فنتعلق بالأوهام ونضل عن سواء السبيل؛ فيردنا الله إلى سبيله بالمصائب ويُرَبينا بالمِحَن حتى لا يبقى في قلوبنا سواه، ولا بين أعيننا سوى طريقه!!

اجتهدَ أوباشُ التُرك في اعتناقِ الطورانية، كما اجتهدَ أوشابُ العربِ في اعتناق العروبية.. حَكَمَ العربُ الدنيا بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم، وحكم الأتراكُ الدنيا بمحمدٍ صلى الله عليه وسلم، وحَكَمَ اليهودُ الدنيا بسليمان صلى الله عليه وسلم!!

تَخَلَّى العرب عن محمد صلى الله عليه وسلم ليحصلوا على الغساسنة، والمناذرة، وجمعٍ لا يكاد يُحصى من آباء رغال.. وتخلى الأتراكُ عن محمد صلى الله عليه وسلم ليحصلوا على الأوغوز، والكرلوك، والأويغور، وجمعٍ لا يكاد يحصى من يهود الدونمة.. وتمسك بَقِيَّةُ السبي البابلي من بني إسرائيل بسليمان عليه السلام ليحصلوا على الأرضِ المقدسة ويتحكموا في الغساسنة والمناذرة والكرلوك والأوغوز!!

العقائدُ تكسب دائماً.. وإِنْ نَخَرَ المثقفون أولادُ المثقفين!!

لقد كانت الحقائقُ أظهرَ من أن تَخفى؛ بيد أَنَّ غِطَاء الوهم كان أكثفَ من قُدرةِ العينِ على البصر.. ومعَ سريانِ تيارِ الوعي في روحِكَ ستتداعى أوهامُكَ شيئاً فشيئاً كما بُنِيتَ شيئاً فشيئاً، ولن تشعر بتداعي بُنيانِ أوهامِك حتى يَسّاقط الحجرُ الأخير.. وَحْدَهُ الحَجَرُ الأخيرُ يُحْدِثُ دَوِيَّاً؛ لأنه لا يسقط على فراغ؛ بل على أحجارِ أوهامِكَ المتساقطةِ في القاع!!

إذا حَدَث هذا فمرحباً بك..

لقد نَجَوتَ من المنظومة.. ولا بأس عليك!!

لا معرفةَ دون عقل، ولا عقلَ دون تجربة!!

الحِكمَةُ أثرُ سِياطِ الدهرِ على ظَهرِ إنسان!!

المُرَقِّعُونَ فِي الأَرض

*

أَرَادُوا أنْ يوثِقُوه فَعَقَلُهم، وأنْ يُثْبِتوه فعقرهم!!

ومَا كَفرَ الرجلُ بمبادِئِهِ وإنْ كانَ كَفَرَ بالإسلام!!

ومَا عَرَفُوا هُمْ حقيقةَ الإسلامِ وإنْ كانوا ادعوا مَعْرِفَتَه!!

تَذَاكَوا عليه، فَمَكَرَ بِهِم.. ثم كانَ عاقبةُ تَذَاكِيهِم أنْ" أتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم"!!

قالوا: نريدها ديمقراطية، فَأَعطَاهُمُوهَا.. وحين فتحوا صندوقَها وجدوا كفراً محضاً عندهم من الله فيه برهان.. فلما سُقط في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا تململوا ساعةً على مثل حسك السِّعدانِ وحَزِّ الخناجر، ثم نُكِسُوا على رؤوسهم بالوسطية، والحديبية، وفقه الواقع، ومقاصد الشريعة.. "وحسبوا ألا تكون فتنةٌ فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثيرٌ منهم"!!

*

مَا خَرَجَ سبسي تونس عن الديمقراطية قِيدَ أُنمُلَة، فلماذا تُكَفِّرونَه وأنتم من طَلَبَهَا؟!

إِنْ كانَ طَبَّقَ ما لا تقصدون، فقد نَظَّرتُم أنتم لِمَا لا تفقهون!!

ظننتموها شورى؟!

كيف وليس فيها من الإسلام حبةُ خردل؟!

كيف ومَركَزُها العبدُ لا الرب؟!

كيف وشرعُها ما يُريدُ البشرُ لا ما يُريدُ ربُّ البشر؟!

لقد صَدَقَ الرجلُ ديمقراطياً حين قال: الدستور هو المرجع والحاكم والسلطة العليا في سَنِّ القوانين".. وصدق ديمقراطياً حين قال: تونس دولة مدنية، والقول بمرجعيتها الدينية خطأ، بل خطأ فاحش".. وصدق ديمقراطياً حين قال: "لا علاقة لنا بالدين ولا بالقرآن ولا بالآيات القرآنية"!!

لقد أنصفكم هذا المسخ كما أنصف الديمقراطية، بيد أنكم أَتْبَعتم أنفسكم هواها وتمنيتم على الله الأماني!!

هذه هي الديمقراطية.. "حُكمُ الشعبِ للشعبِ بما يختاره الشعب".. لا مكان للدين فيها ولا مركزية لله معها.. فإذا حَزَبَكُم التذاكي فقلتم: "فيما لا يخالف شرعِ الله"، صِرتُم كالتاجر الكذاب الذي أراد أن يُسَوِّق بضاعته من الأسماك في بلاد المسلمين فكتب عليها: "ذُبحت حسب الشريعة الإسلامية"، فما زاد على أن دَلَّ الناسَ على غِشِّهِ فيما يُذبَح لِكَذِبِهِ فيما لا يُذبَح!!

***

إنَّ وَهْمَ التوافق مع العلمانيين الكفار سيوصلكم إلى الكفر ولن يوصلَهم إلى الإسلام، وَهُمْ ليسوا أكثر من (حصان طراودة) في بلاد المسلمين؛ لا يعرفون مما تعرفون معروفاً، ولا يُنكرون مما تنكرون منكراً، والعربُ منهم خاصةً أَشَدُّ أنواعِ المرضى النفسيين دكتاتوريةً وطغياناً؛ ليس لكم عندهم سوى القهر والجبر، وليس للأجنبي عندهم سوى الولاء والتبعية.. وكم سَمِعْنَا وقَرَأنَا لهم قديماً- حين نجح الإسلاميون في مصر بالانتخابات- مقالاتٍ وأحاديثَ عن أنَّ النجاح في الانتخابات لا يعني تغيير هُويةِ الشعوب بالقوة، أو صَبْغَ البلاد بصبغة دينية.. وهَاهُم الآن يُصفقون للدكتاتورية الديمقراطية الكُفرية التي تريد أن تُغيِّر هُويةَ الشعبِ المسلم في تونس وتفرض عليه الكفر المحض!!

إذا كانت الديكتاتورية بَحراً فالعلمانيون أَسْمَاكُه، إن خَرَجُوا منه مَاتوا!!

وَهُمْ في موضوع المواريث هذا نوعان تعود كل أنواعهم إليهما: فنوعٌ يُصَرِّحُ بترحيبه وموافقته على هذا الكفر وَتَمَنّيهِ أن يَعُمَّ بلادَ المسلمين كلها بلا مواربة ولا لجلجلة.. وهذا النوع يجب على المسلمين أن يُصرحوا بكفره بلا مواربةٍ ولا لجلجه.

ونوعٌ آخر لا يستطيع التصريح بالموافقة، وإنما يستهبل ويتغابى ويتمايع ويلف ويدور فيقول:"لو وَجَدتُ أني أخذتُ أكثر من أختي فسأعطيها من حقي حتى نتساوى معاً، لأن المساواة عدل يحبه الله ويرضاه، والمحاباة ظلم يبغضه الله ويأباه ولو أرادت زيادةً سأعطيها عن طيب خاطر".. وهذا كلام لا أجد له مصطلحاً يُعَبِّرُ عنه سوى مصطلح (الكفر المخنث)، وصاحب هذا الكفر المخنث حقه أن (يُطَبْطَبَ) على كتفه ويُفَهَّمَ بهدوء أن (العبطَ) الذي يتفوه به ليس مناطاً لشيءٍ يعقله الناس، وأنَّ الظلم الذي يقع على المرأة في المجتمعات المسلمة مَرَدُّهُ إلى بُعدِ هذه المجتمعات عن الإسلام لا قربها منه، وأن الإسلام يُحِبُّ أختَه أكثرَ مما يحبها هو حين أوجبَ عليه أن يكفلها طائعاً أو مكرهاً، وإلا كان مسلماً آثماً أو رجلاً بلا رجولة!!

إن العلمانيين -عموماً- لا يُنَاقَشُون.. اللهم إلا حرصاً على المسلم الذي يقرأ لهم أن يضل بضلالهم، وإلا فإن العلمانيين- غالباً- كائناتٌ هشةٌ ثقافياً ومعرفياً لا تستطيع أن تسير معهم في نقاش متسق بعضُه مع بعضه، أو تؤصل معهم لأصلٍ لا يُسقطونه أو يخالفونه حين يُعوزهم العلمُ وتخونهم المعرفة.. وهُم لم تَعْلُ راياتهم في بلاد الإسلام إلا في ظل البيادة العسكرية المستظلة بالدبابة الغربية!!

ما يريده العلمانيون العرب في بلاد الإسلام هو عين ما فعله العلمانيون الأوربيون قديماً في بلاد النصرانية، وليست دعوات التجديد التي ينهق بها أصحابُها الآن سوى محاولاتٍ باطنية

لسلخ الإسلام عن القرآن كما سلخ الغربيون النصرانية عن الإنجيل ليصير المسلمون مسلمين بلا قرآن كما صار النصارى نصارى بل

.. ثم أردتم مسايرة النظام العالمي- اضطراراً أو استخذاءً أو اقتناعاً- فَرَقَّعْتُم بعضَ ما مَزَّقتم من الإسلام بوساخات عقول الكفار، ثم ازدادت المسايرة بازدياد الضغط، فمزقتم ورقعتم، ثم مزّقتم ورقعتم، ثم لمَّا لم يبق في الثوب ما يُرقّع قلتم: حُديبيةٌ ومرحلةٌ مكيةٌ وفقهُ واقع!!

نُرَقّعُ دنيانا بتمزيقِ دِينِنَا فلا دِينُنَا يبقى ولا مَا نُرقّعُ

*

تَكْمُنُ المشكلة في هذا الترقيع الناتج عن نفسية رغائبيةٍ تُصِرُّ على ضرب المنظومات المتضادة في خلاط واحد لتحصل على مَسْخٍ رغائبي مُشَوَّه ليس له أثرٌ في الواقع إلا تشويه الواقع!!

مشكلتكم أنكم لا زلتم تُصِرُّون على تسمية الجوافةِ زيتوناً والزيتونَ جَوافة!!

في بعض أقاليم جزيرة العرب كان الناس قديماً -لعدم معرفتهم بالزيتون- يُسَمُّون الجوافةَ زيتوناً!!

مَا حَدثَ للشورى والديمقراطية شبيه بما حَدَثَ للجوافةِ والزيتون!!

الجوافةُ لم تصبح زيتوناً على الحقيقة لمجرد تسميتها زيتوناً، والديمقراطية لم تصبح شورى على الحقيقة لمجرد تسميتها شورى.. لم تكن المشكلة في الجوافة ولا في الزيتون، بل كانت في بعض إخواننا من أهل الجزيرة.. ولم تكن المشكلة في الديمقراطية ولا في الشورى، بل كانت في بعض إخواننا من أهل الإسلام!!

أهلُ الجزيرة الآنَ لا يُسَمُّون الجوافةَ زيتوناً؛ لقد رأوا الزيتون وأكلوه، كما رأوا الجوافة وأكلوها.. والعقلاء من أهل الإسلام الآن لا يُسَمُّون الديمقراطيةَ شورى؛ لقد فهموا الشورى وعرفوها، كما جربوا الديمقراطية فأكلتهم!!

ولكي تعرفوا ما الذي يمكن أن يفعله ضرب المصطلحات بعضها ببعض؛ تخيلوا معي أن المسلمين في ذلك الإقليم من جزيرة العرب قرؤوا قَسَمَ الله جل وعلا في القرآن بالزيتون، وقرؤوا أمرَ رسوله صلى الله عليه وسلم بأكله والادِّهَانِ به؛ فنشأت -تَبَعاً لذلك- حالةٌ دينية كاملة عن بركة الزيتون وزيته، ثم أنشأت هذه الحالة الدينية حالةً اجتماعية كاملة، تَبِعَتْهَا بالضرورة حالةٌ اقتصادية كاملة؛ فصار الناس -لتواضعهم ديناً وعُرفاً على بركة الزيتون وزيته؛ يبيعونه ويشترونه ويصفه الأطباء والعطارون دُهناً للأجساد والشعور وعلاجاً لبعض الأمراض والأدواء.. حتى إذا جاء رجل من أهل الشام -أهل الزيتون-، فدخل ذلك الإقليم، وأخبرهم بالحقيقة؛ انهارت الحالات كلها؛ وإذ الزيتُ الذي كان زيتاً ليس سوى عصير جوافة أفتاهم شيخٌ أفاق أو تاجر لص بأن الزيت في بعض لغات العرب قد يُطلق على العصير!! وإذ الناس منذ زمن يدهنون أجسادهم وشعورهم بعصير الجوافة ظناً منهم أنه زيت زيتون.. ذلك الزيت المبارك من تلك الشجرة المباركة!!

من الصعوبة بمكان أنْ يُصَدِّقَ الناسُ بعد كل هذا أَنَّ الجوافةَ جوافة والزيتونَ زيتون؛ خاصة وقد شفى عصيرُ الجوافة -بالوهم- كثيراً من أمراضهم التي قيل إن الزيتون يشفيها!!

هذا بعض ما يفعله (المصطلح) في عقول الناس وحياتهم.. إنه يُنشِئ حالةً كاملة من الوعي أو الغيبوبة فلا تستطيع- بعد تَجَذُّرِهَا في عقول الناس- تجليةَ أمره أو كشفَ حقيقته إلا بشق الأنفس.. وقد غَبَرَ العلمانيون زمناً ينسبون (العلمانية أو العالمانية) إلى العلم -جهلاً أو خُبثاً- وهي في أصلها تعني (اللاديني أو الأرضي)، ثم ضَلَّتْ أممٌ من المسلمين بذلك وأَضَلَّتْ، ولا يزال بعضُ أوباش العلمانية يخدعون أدعياء الثقافة بهذا وأضرابه!!

المُصطَلح احتلاليٌّ بِطَبعِه؛ لا يتسعُ العقلُ به إلا بِقدر ما يضيق، ولا يُنير إلا بقدر ما يُظلِم، وهو للعقل كالكلمة الجديدة للطفل؛ ليست حروفاً يُرَدِّدُها لسانُه، بل بذورٌ ينبتُ بها عقلُه، وعقلُ الطفلِ لا ينمو بالكلمات والألفاظ بل بالمعاني التي تحملها الكلمات والألفاظ!!

لقد بُحَّتْ أصواتنا ونحن نقول لكم: الديمقراطية ليست الشورى، والشورى ليست الديمقراطية.. المركز في الكيانين مختلف، وبحسب المركز تكون الأطراف!!

بُحَّتْ أصواتُنا ونحن نقول لكم: سيأتي اليوم الذي تُخَيَّرُكم فيه الديمقراطية بين الإسلام الخالص أو الكفر المحض، فإن اخترتم الإسلامَ خسرتم مكاسبكم المدعاة، وإن اخترتم الديمقراطية كفرتم كفراً بواحاً عندكم من الله فيه برهان!!

ألا زلتم تُصِرُّون على أن الديمقراطية هي الانتخابات أو حرية الاختيار أو الصناديق؟!

وَيكَأنَّكُم لا تَجهلونَ حقيقةَ الديمقراطية، بل حقيقةَ الإسلام!!

إنَّ الفرق بين الشورى والديمقراطية ليس فرقاً هَيِّناً حتى يقال: (نَتَحَمَّز بالجميز إلى أن يأتينا التين).. الجِمِّيزُ والتين -وإن كانا يشبهان بعضهما- مختلفان جداً طعماً وفائدة.. وَمَنْ سَاوى بين منهجينِ منطلقُ أحدِهمَا الربُّ ومنطلق الآخر العبد كان كمن أراد أن يجمع الجمرَ والثلجَ في يد واحدة فلا ينطفئ الجمر ولا يذوب الثلج.. وأنَّى له ذلك!!

هَا أنتم الآن تُكَفِّرُونَ رجلاً أراد تطبيق الديمقراطية التي دعوتم إليها وقاتلتم في سبيلها!!

وإنَّ من أعجبِ العجبِ أنكم تُكَفِّرون (الفاعلَ) ولا تُكَفِّرونَ (الفِعْلَ).. والأصلُ حُكماً أن يُنظرَ إلى الفعلِ أولاً، فإن كانَ الفعلُ كُفراً نُظِرَ إلى فَاعِلِه ثانياً، ثم لا يَكفُرُ فاعِلُه إلا بَعْدَ تَحَقُّقِ الشروطِ وانتفاءِ الموانع.. أما أنتم فتُكَفِّرُون الفاعلَ وتُؤسلمون الفعل.. وليتَ شِعري.. إنْ أسلمتم الفِعلَ وكَفَّرتُم الفاعلَ فَبِأيِّ شيءٍ كَفَرَ الفاعل؟!

أُرِي عَينَيَّ ما لم تَرْأَيَاه

كِلانا عالمٌ بِالترَّهَاتِ

مائةُ عَامٍ من الكذب وأنتم تُنَظِّرونَ للديمقراطية وتُقَرِّبُونَهَا من الشورى حتى صارت -في أذهانكم وأذهان الناس- هي الشورى والشورى هي؛ يدفعكم في ذلك -صادقين- ما نعانيه في بلادنا من القهر والكبت والظلم، وما نراه في بلاد الديمقراطية من (وَهْمِ) الحرية والمساواة والرفاه.. والغريبُ أنه كلما زاد تعلقكم بالديمقراطية والمناداة بها؛ أوعز أهلُ الديمقراطية إلى حكامكم أن يذيقوكم مزيداً من القهر والكبت، وأن يصبوا فوق رؤوسكم حمم الديكتاتورية، حتى صارت الديمقراطية في عُرْفِكُم وعُرفِ الناس طَوقَ نجاةٍ وجنةً موعودةً ومدينةً فاضلة.. لقد ساهمتم -غافلين- في (تعطيش) السوق لاستقبال البضاعة!!

وحينَ أَطَلَّتْ البضاعةُ برأسها رأيتم سُمَّاً في دَسَمٍ إنْ تناولتموه هلكتم شَبَعَاً وإنْ تركتموه هلكتم جوعاً، فقلتم لأصحاب البضاعة: نريدُ دسماً خالصاً لا سُمَّ فيه كالذي عندنا، فقالوا: (وَمَنْ أنتمُ حتى يكونَ لكم عِندُ؟!).. ثم أذاقوكم -بِحُكَّامِكُم- الويلات وصَبُّوا فوق رؤوسكم المآسي!!

وإذِ الأمر لا حرية فيه ولا عدالة ولا مساواة.. وإذ هو مُطلقُ القوة والقهر والغَلَبَة!!

لقد قال لكم أصحابُ البضاعة: هذه ديمقراطيتنا، ونحن أدرى بها، وسنفرضُها.. فما الذي تملكون أنتم من أسباب القوة لتفرضوا ديمقراطيتكم المزعومة التي لا تُخالف شرع الله!!

يا أصحاب سؤال (البديل).. هذا هو البديل الذي تسألون عنه..

البديل: هو امتلاك القوة، والخروج من الصندوق، وتحطيم قيود النظام العالمي!!

وعبثاً تبحثون عن كيفية اختيار الحاكم في الوقت الذي يجب أن تبحثوا فيه عن كيفية قتله!!

أَيُّ اختيارٍ هذا الذي تَشْغَبُونَ بِهِ على من يَدُلُّكُم على الطريق؟!

أَيُّ اختيارِ هذا الذي لا تملكون القوةَ لفرضه أو الحفاظ عليه؟!

قد اخترتم.. فكان ماذا؟!

قبع المُخْتَارُ في سجنه، وهرب المُختارون إلى المنافي!!

ما هذه الرفاهية العقلية المقيتة؟!

أو كلما نبّهَكُم أحدٌ إلى الفخ، قلتم: أين البديل!!

بديلٌ عن ماذا؟! عن المستنقع الذي تتخبطون فيه؟!

أَيُّ بديلٍ هذا الذي تسألون عنه وأنتم لم تعيشوا أصلاً؟!

اخرجوا من المستنقع أولاً ثم اسألوا عن البديل؛ فلربما كان البديل في مجرد الخروج من المستنقع!!

البديلُ في معرفة واجب الوقت والعمل على تحقيقه..

معرفةُ واجبِ الوقت هو واجبُ الوقت!!

البديلُ في ذات الشوكة التي تودون غيرها..

البديلُ في ذات الشوكة ولو فشلت ألفُ مَوجةٍ من موجاتها..

ليسَ فشلاً ما عَلّمَكَ أسبَابَه، ومَا فَشِلَ مَنْ ادَّارَكَ أسبابَ فَشَلِه!!

النصرُ مجموعةُ محاولاتٍ فاشلة، والفتحُ مجموعةُ انتصاراتٍ ناقصة!!

ستحصلون على (كُلِّ) أدوات الفعل حين تبدؤون في السعي إلى امتلاكِ (بَعضِ) أدوات الفعل!!

أتظنون أن الغرب وصل إلى ما وصل إليه بالصناديق والانتخابات والمثالية الفارغة.. والله ما وصل هؤلاء إلى ما وصلوا إليه إلا بعد عقودٍ من المجازر تلتها عقودٌ من المجازر تجددت بعقودٍ من المجازر!!

وَهْمُ الغَلَبَةِ دون قوة كوهم الراحة دون تَعب.. وأَيُّ راحةٍ بلا تَعب؟!

ومكلف الأيام ضد طباعها

متطلبٌ في الماء جذوة نارِ

لا تتعجلوا قفزاً إلى الدرجة الأخيرة قبل أن تضعوا أقدامكم على الدرجة الأولى.!!

(الآن وهنا).. هذا هو المنطلق!!

(من نحن وماذا نريد).. هذا هو المنطلق!!

(كيف وإلى أين).. هذا هو المنطلق!!

ستجدون -بعد ذلك- في نظامكم الإسلامي كُلَّ ما تريدون وزيادة.. واتركوا عنكم أهلَ اللَّجَاجَةِ والسفسطةِ الذين يَزعمون -جاهلين- أنَّ الإسلام ليس فيه نظام حكم؛ فهؤلاء لا يعرفون معنى كلمة (نظام) ولا معنى كلمة (حكم) إلا إذا كان نظاماً غربياً أو حكماً أجنبياً بتقسيماته وتفصيلاته.. ولو أَتعَبُوا أنفسَهم قليلاً لوجدوا في مدونات المسلمين الكبرى -قديماً وحديثاً- أصلَ كُلِّ خيرٍ موجودٍ عند غيرهم، مرتبطاً بالله والشريعة لا بالبشر والأهواء!!

ستجدون كيفية اختيار الحاكم وكيفية عزله.. ستجدون كيفية اختيار الحكومة وكيفية عزلها.. ستجدون ماهيةَ السُلطات وأنواعَها وطرائقَ الفصل بينها.. ستجدون استقلالَ التشريع والقضاءِ والقُضاة.. ستجدون الانتخابَ وشروطَه، والناخبين وشروطَهُم، والمُنتَخبين وشروطهم، والأغلبيةَ اللازمةَ للانتخاب، والتمييزَ بين الخلافة الصحيحة والخلافةِ الناقصة، وعملَ

الحكومةِ وصلاحياتها، وحدودَ الحاكم وصلاحياته، وأنواعَ الوزارات المختلفة وأسماءَها وتقسيماتِها وصلاحياتها، والمبادئَ التي تُحَدِّدُ سلطةَ الحكومة، والرقابةَ على أعمال الحكومة، ونطاقَ ولاية الحكومة، وولايةَ الاضطرار، وولايةَ التغلب، والضروراتِ التي تفرضُ وجودَ الحكومة الناقصة والمتغلبة وتُنهي الحكومة الكاملة المنتخبة.. ستجدون حقوقاً وواجباتٍ لغير المسلمين في بلاد الإسلام -ذميين أو معاهدين- لم يحلموا بها في بلادهم آنذاك.. ستجدون ما يشبه مجالسَ الشورى والشعب والنُخَب والأعيان والعُرفَاء.. بتفاصيل مذهلة وأحياناً مملة.. ستجدون وجوداً للدولة في كل شأن من شؤون حياة الناس حتى تكاد تظن أن الدولةَ أُمُّهُمْ وأَبُوهُمْ، كما ستجدون استقلالاً غريباً للناس بأعمالهم ومعاشهم وأوقافهم وتجاراتهم، وأحياناً كثيرةً بأفكارهم؛ حتى تكاد تظن أن الدولة ليست سوى (مديرٍ تنفيذي) يُشرف على سير العمل بأصوله المقررة ثم يترك الحرية للجميع في عمل ما يريدون؛ فإذا تغيرت الحكومة أو سقطت لم تكد تتغير حياة الناس أو تتأثر.. ولا أظنني سأكون مغالياً إن قلت: إن نظرية (الجماعات الوسيطة) في الأمم والشعوب لم تُنفذ في ظل حكمٍ أو نظامٍ كما نُفِّذت- تلقائياً وبدون تخطيط- في ظِلِّ الحكم الإسلامي ونظامه!!

ستجدون هذا وأمثاله وأضرابه بتفاصيل مدهشة واجتهادات مختلفة حسب الزمان والمكان حتى يكاد يظن القارئ أن المسلمين لم يتركوا شيئاً لغيرهم.. وهم -رغم كل هذا- لا يترفعون عن الإفادة من غيرهم بالحكمة التي هي ضالة المؤمن!!

بل ستجدون -على سبيل المثال- اقتراحاً مدهشاً في العصر الحديث للشيخ رشيد رضا رحمه الله -ربما يُذَكِّرُنا ببعض نظرية أفلاطون القديمة عن حكم الفلاسفة- يطالب فيه بإنشاء مدرسة عاليةٍ لتخريج المرشحين للإمامة العظمى يُنْتَخَبُ مِن خِرِّجِيْهَا رجالُ ديوان الخلافة الخاص، وأهلُ القضاء والإفتاء وواضعو القوانين العامة ونظم الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه، وإزالة البدع والخرافات اللاصقة بأهله.. ولا يكتفي الشيخُ رحمه الله بذلك بل يحدد العلوم التي يجب

تدريسها في المدرسة، مثل: أصول القوانين الدولية وعلم الملل والنحل، وخلاصة تاريخ الأمم، وسنن الاجتماع، ونظم الهيئات الدينية - كالفاتيكان والبطاركة والأساقفة وجمعياتهم الدينية وأعمالها.. ثم يقول: "فمتى يُخَرَّجُ من هذه المدرسة في الزمن المعين أفرادٌ مستجمعون لشرائط الخلافة، ومن أهمها العلم الاستقلالي الاجتهادي والعدالة؛ تزول ضرورة جعل الخليفة جاهلاً أو فاسقًا"!!

ثم ويا للغرابة.. حين ثَارَ -في زَمَنِه- النقاشُ حول مكان عاصمة الخلافة؛ اقترح أن تكون مدينة (الموصل) هي عاصمة الخلافة لأنها -بموقعها الجغرافي- حلقةُ وصل بين المسلمين عرباً وتركاً وكرداً!!

فإن قلتم إنَّ أصولَ الحُكمِ في الإسلامِ لم تُطَبَّق في تاريخ المسلمين كاملةً إلا في عهد الخلافة الأولى، فقد صدقتم والله؛ فخذوا أنتم هذه الأصول وأعيدوا لنا بها عظمة الخلافة الأولى، ولا يُيئِسَنَّكُم مِن العودة إليها والاهتداء بهديها قلةُ تطبيقها حيناً، أو انعدامُ تطبيقها أحياناً، أو خروجُ الخلافة من الرُشد إلى الجبْر؛ فإن أفعال البشر التي تنتج عن الأهواء والرغبات ليست حجة على الله وشرعه.. والله الذي تكفل بحفظ أصلِ الإسلام من التحريف لم يتكفل بحفظ أفعال المسلمين من الانحراف؛ وإلا صارت الأرضُ جنةً، والدنيا آخرةً، والناسُ ملائكة.. ومَا على هذا أقامَ اللهُ سُننَ الدنيا.. وها هي الديمقراطيات الغربية المختلفة لا نكاد نجد فيها ديمقراطيةً تشبه أخرى؛ بل لا نكاد نجد أصلاً ثابتاً فيها لم يُعبث به أو يُلتفَّ حَولَه؛ حتى علت أصواتُ كثيرٍ من مفكريهم منذ زمن للبحث عن نظام أكثر رشداً من هذه الديمقراطية التي أثبتت التجارب والوقائع أنها نظام غير رشيد، وأن أصولها -وإن سَدَّت بعضَ الثغرات- تسير بالناس إلى المجهول.. ولا غرابة -بَعدَ (ترامب) وأمثاله- أن نُصَدِّقَ أفلاطون حين سماها (حُكم الغوغاء)!!

*

أصولُ كُلِّ خَيرٍ موجودةٌ في النظام الإسلامي، ولكنكم صِرتُم:

كَالعِيْسِ في البَيدَاءِ يقتلُها الظَّمَا

والماءُ فوقَ ظُهورهِا مَحُمُولُ

ونحن -وإن تحامقتم مرةً فأنكرتم أن يكون في الإسلام نظام حكم يصلح بديلاً للمستنقع الديمقراطي الذي تعيشون فيه- لا نُسَلِّمُ لكم بهذا ولا ببعضه، بيد أنَّ بين أيديكم الآن بديلٌ إسلاميٌ كاملٌ متكامل في الأحوال الشخصية بأقسامها، فهل تملكون القوة يا أصحاب البديل لفرض هذا البديل؟!

إنَّ تَذَاكِيكُم على مَنْ وَصَلَ احتِلَالُهم إلى غُرفِ نومكم نُقصانُ عَقلٍ أنتجَ ترقيعاً لواقعٍ مُرٍّ لا تُريدون أن تُتعبوا أنفسكم في فَهْمِه ثم في العملِ على تغييره!!

وتَجَوُّزاً.. لكم أن تتحامقوا ثلاث مرات.. في الرابعة سنكون نحن الحمقى إن لم نُخبركم بتحامقكم.. حتى لو كُنَّا متكئينَ على أرائكنا.. الاتكاءُ على الأرائك أهونُ من خيانة الله ورسوله.. اتكِئوا معنا ولا تخونوا حتى يأتي قومٌ لا يتحامقون ولا يخونون ولا يتكئون!!

يَا هَؤلاء.. كَفَى عَبَثَاً..

في الزجاجةِ عَصيرُ جوافة لا زَيت زيتون، فَاشرَبُوا على بَصِيرةٍ أو دَعُوا!!

****

*

لا تنظروا إلى الفيلم ومحتواه..

بل انظروا إلى الفيلم وصانعيه..

لا يخدعنكم الصانعُ عن مرض نفسه بمرض نماذجه..

فيلم: (في سبع سنين) لا يُعَبِّرُ عن أزمةِ نماذجِهِ بقدر ما يُعَبِّرُ عن أزمةِ صَانِعِيه!!

إذا كنتم مهتمين.. فيجب ألا ينصبَّ اهتمامُكُم على النماذج التي عرضها الفيلم؛ بل على النماذج التي صَنَعت الفيلم!!

ليس السؤال: لماذا يُلحدُ الشباب!!

لأن الكثرة الكاثرة من الشباب لا تُلحد رغم تيسر دواعي الإلحاد.. وهذه الظواهر التي تتقافز أمامكم الآن ليست سوى (هوامش منحرفة) حول (متنٍ معتدل) وُجدَ مثلُها في كل زمانٍ ومكانٍ ومِلةٍ ودين.. وتسليطُ الضوءِ على الهوامش المنحرفة لا يدل على تَسَلُّطِ الهامشِ المنحرف على المتن المعتدل؛ بل يدل على تسلط ذلك الهامش على نفسيتك المريضة أو وقوع نفسيتك المريضة في مستنقع ذلك الهامش!!

وليس السؤال: لماذا يُجاهد الشباب!!

لأن الإجابة ببساطة شديدة هي: الجهادُ -كالصلاة والصيام والحج والزكاة- فريضةٌ إسلاميةٌ -بل فطرة إنسانية- غابت أو غُيِّبَتْ ردحاً مِن الزمن، ثم استيقظ أهلُها السادةُ العظماءُ؛ ليعبدوا الله -من خلالها- قتلاً وقتالاً؛ كما عبدوه -في الصلاة- سجوداً وركوعاً.. فإن كان من غير

المعقول أن يسأل أحمق: لماذا يصلي الشباب؛ فإنه من غير المعقول أيضاً أن يسأل تافهٌ: لماذا يجاهد الشباب!!

وليس السؤال لماذا يلجأ الشباب (للعمل المسلح).. لأن الإجابة ببساطة هي: الإسلامُ ليس فيه (عملٌ مسلحٌ).. الإسلام فيه (جهاد) فقط.. فإذا أردتَ أن تتعامل مع الإسلام فعليك أن تتعامل معه بألفاظه ومصطلحاته.. أما إذا كنتَ من الذين تَحَرَّشَ بهم الغربُ فكرياً ثم اغتصبهم ثقافياً؛ فلا بأس أن تستمتعَ بهذا التحرش وذلك الاغتصاب بعيداً عن الإسلام!!

السؤال الحقيقي هو: ماذا حدثَ لكَ أنتَ لتصير تافهاً وعبيطاً إلى هذه الدرجة العادية الخالية من أي تجديد في التفاهة، أو أي ابتكارٍ في العبط؟!

هذا هو السؤال.. ومِن هنا نبدأ!!

*

عشرة أيام أو تزيد وقناة (الجزيرة) القطرية تَبثُّ إعلاناً عن فيلمٍ وثائقي يناقش قضايا تفنى في مناقشتها الأعمار، على طريقة أفلام المقاولات الثمانينية: (متعة، إثارة، تشويق)؛ لنسمع ونبصر من خلال الإعلان فتاةً لا ندري عن حالها شيئاً تقول: (أنا كافرة)، وفتىً لا ندري عن حاله شيئاً يقول: (مفيش إله.. أنا مُلحد)، وشاباً يضع ساقاً على ساق ويتقمص الهيئة العبيطة المضحكة لمثقفي وسط البلد متحدثاً عن (اللاأدرية).. وآخر ملثماً يحتضن سلاحه ويتحدث عن سقوط السلمية وحتمية ما أسموه (العمل المسلح).. ذلك المسمى الذي يحلو للكفار (الكيوت) مدعي الحياد إطلاقُه على (الجهاد) لإسقاط مصطلحه من قاموس المسلمين وعقولهم ونفسياتهم.. بخلاف الكفار الكفار الذين يسمونه عنفاً وإرهاباً!!

عشرة أيام وأنا أشاهد الإعلان فأعجب من كَمِّ الوساخة والتفاهة والعبط والحمق والغباء والخبث وقِدَمِ الأسلوب.. لقد تذكرت تلكَ الإعلانات القديمة الرخيصة حين كانت شركات

صناعة السيارات تجلب فتاة شبه عارية صارخة الزينة لتتكئ على حافة السيارة بوضعية جنسية مثيرة ثم تُصَوّرهَا لتجعلها دعايةً للسيارة!!

كانت قناة الجزيرة -في ذلك الإعلان اليومي- تقوم بذات العمل الذي كانت تقوم به تلك الشركات: استغلال الغرائز لترويج السلعة، ورفع نسبة المشاهدة، وزيادة حالة الترقب!!

أسلوب دعائي رائع ومُربع ورخيص، أسلوب دعائي شديد النجاح شديد الوساخة، تماماً كأسلوب القواد الذي يُدلل على عاهرته بالتلويح بملابسها الداخلية!!

المختلف هذه المرة هو أن الجزيرة لم تمتهن جسدَ امرأة.. بل امتهنت روحَ المقدس المغروس في أرواح المسلمين: أنا ملحد.. أنا كافرة.. مفيش إله!!

تخيل ابنكَ أو بنتك أو أخاك أو أختك وهم يشاهدون هذا الإعلان بهذا الأسلوب، ما الذي سيرتكز في نفسياتهم على مدار عشرة أيام؟!

أيّ استهانةٍ بالله جل وعلا ستنغرس في نفوسهم، وأيّ استسهالٍ لكلمة الكفر سيكون على ألسنتهم، وأيّ شعورٍ بهوانِ الدين سيهيمنُ على أرواحهم؟!

فِعْلُ الكلمة السيئة كفعل الصورة السيئة كفعل الطلقة القاتلة!!

عقولُ أبناءِ المسلمين وأرواحُهُم ليست حقولَ تجارب للجزيرة وجواريها مِن منصاتٍ إعلامية طفح بها الأثير وسيطر عليها المغتَصَبون فكرياً ليستخدموا فيها مجموعاتٍ من (الإكس إسلاميين) المأزومين المهزومين المهوسيين بالشهرة والنجاح الإعلامي وعمل أفلام (تكسر الدنيا) و(تعلِّي التريند) على حساب سلامة المجتمعات المسلمة-أو ما تبقى منها- دينياً وثقافياً!!

هل تعرفون كيف أتخيل قناة الجزيرة وجواريها:

في كلِّ مسلخ بشري من مسالخ ما يُسمى (أمن الدولة) في الأكشاك العربية المحتلة، هناك ضابطٌ رقيقٌ ناعمٌ، يلبس لكَ وجهَ أبي بكر على قلب أبي لهب، فيتظاهر بإنقاذك من براثن زميله الضابط المتوحش الذي سهر عليك ليلة كاملة في تعذيب وحشي متواصل، (فيطبطب) عليك بحنو زائد مفتعل ويأخذك إلى مكتبه ليقدم لك بعض المراهم والأدوية والأطعمة شاتماً زميله المتوحش الذي لا يُقدِّرُ الإنسانَ ولا الإنسانية.. هذا الضابط الرحيم هو نفسه الذي يتبادل الأدوار مع زميله المتوحش فيأخذ دوره في تعذيب معتقل آخر، ليأخذ الضابطُ المتوحشُ دورَه الرحيم مع ذلك المعتقل.. وكلاهما متوحش: أحدهما يتوحش عليكَ جسدياً بالتعذيب، والآخر يتوحش عليكَ نفسياً بالاحتواء!!

هذا الضابط الذي يرتدي لك قناع الرحمة هو تحديداً مَنْ يجبُ أن تحذره.. إنه الأبشع في تلك المسالخ.. وقناة الجزيرة هي -بالضبط- ذلك الضابط!!

هي خنجرُ ابنِ العمِّ في ظهرك وابتسامتُه في وجهك.. هي حصان طروادة، وطعنة بروتوس، ودلالة أبي رغال!!

الخنجرُ لا يكونُ- دائماً- في يَدِ مَن يُهَدِّدُ بِهِ، بل رُبَّمَا يكونُ- أحياناً- في يَدِ مَن يُنَدِّدُ بِهِ!!

إنَّ دورَ قناة الجزيرة في استلطاخ العقل العربي والإسلامي، ثم استدراجهما إلى (إسلام السوق)، أو الإسلام الأمريكاني، أو إسلام مؤسسة (راند) يحتاج إلى مجلداتٍ ذوات عددٍ من الدراسةِ العميقة والبحث الدقيق.. وهذا الدور لا يقل -إنْ لم يزد- عن الدور الإماراتي السعودي الحالي، بل وعن الدور المصري على مدى نصف قرن من التغريب وتجفيف المنابع.. لقد كانت الجزيرة قفزة نوعية عميقة الأثر شديدة الضرر مختلفة الأدوات في استلاب وتأطير وتسطيح الوعي العربي والإسلامي!!

قناة الجزيرة أشبه بعملية التطعيم التي تقوم على أخذ عينةٍ ضعيفةٍ من المرضِ ذاته المراد من الجسد مقاومته، ثم حقن الجسد به ليُنتج أجساماً وخلايا مناعية مضادة بالقدر الذي يكفي لمحاربة أي عدوى مستقبلية بالمرض ذاته!!

إسلامٌ زائف سيقاوم عما قليل الإسلام الحقيقي.. وعيٌ زائف سيطغى عما قليل على الوعي الحقيقي.. قضايا كبرى تُعالج بطريقة سطحية لتحجيم أثرها في الوعي الزائف.. قضايا جانبية تافهة تُعالج بطريقة احترافية عميقة لإشغال الوعي الزائف عن القضايا الكبرى وذر رماد (الاحترافية) في العيون المسحورة!!

****

ليس للثورات المضادة صورة واحدة تمثل في الانقلابات والقمع والسجون.. ما فعلته قطر بجزيرتها، ثم ما فعلته الجزيرة بجواريها؛ أبشع بكثير من القمع والإرهاب والسجون!!

الاحتواء أبشع أدوات الثورات المضادة، وأبشع الاحتواء الاحتواء الإعلامي الذي يسحر أعين الناس ويسترهبهم ويزيف وعيهم!!

نجحت الجزيرة نجاحاً آنياً كبيراً في إعادة تدوير وتخليق (مخلفات الثورات) فكرياً وبشرياً.. كان تركيزها الأكبر على البشر؛ ليس لأهميتهم عندها، بل لمركزيتهم في عملية إعادة تدوير الأفكار القديمة لتخليق أفكار جديدة لا تمت إلى ما كانوا عليه بصلة.. ترحيلٌ نفسيٌ هادئٌ ومتدرجٌ مِنْ مُرَبَّعٍ إلى مُربَّع.. إحلالٌ وتجديدٌ بطيء الحركة أكيدُ المفعول..

نموذج (الإعلامجي الإسلامي) كان النموذج المحبب لها؛ ليس لتمكنه في فنه؛ فهو لم يكن يملك غالباً من أصول الإعلام الحداثي كثير شيء؛ بيد أنها رأت لأسباب عديدة أنه سيكون نافعاً في عملية تدوير المخلفات الفكرية، وفي تثبيت صورتها الخادعة القائمة على أوهام الحياد، والموضوعية، وعرض الحقائق، والاحترافية، ومناصرة ثورات الشعوب، والرأي والرأي

الآخر، في عقول العامة والغوغاء.. ولا بأس أن نذكر هنا أن العامة والغوغاء هؤلاء يمكن أن يكونوا مِنْ حَمَلَةِ الماجستير والدكتوراه، ومن علماء الدين كبار السن محدودي الفهم!!

من الظلم للجزيرة أن نتهمها بكامل عملية تخليق الإعلامجي الإسلامي.. لقد جاءها هذا الإعلامجي مثخناً بالجراحات النفسية والاجتماعية والفكرية، مترحلاً -شيئاً فشيئاً- من مُربعٍ إلى مربع، مُسقِطَاً ـ (صورة الأب) مريضاً بـ(التوحد بالمعتدي)، سَطحيَّ الثقافة والتأصيل، منبهراً بالآخر، لا يكاد يُطلبُ منه تعديلُ أفكاره ومصطلحاته، لامتلاكه حاسةَ شَمٍّ ذئبية تؤهله لمعرفة اتجاه الريح داخل المنظومة الجديدة.. جاءها جاهزاً كما يُهَيَّؤ المريضُ للعملية الجراحية.. مِقَصٌّ هنا ومِشرطٌ هناك وينتهي كلُّ شيء بنجاح ليدخل الإعلامجي الجديد، والإسلامي السابق إلى عالم الإعلام المحكوم بمنطق السوق.

ولأن النفس الإنسانية ليس من طبيعتها- عادةً- أن تنقلب فجأة من النقيض إلى النقيض؛ سيظل في نفس هذا الإعلامجي وروحه شيءٌ من (قيمةٍ إسلامية سابقة) تُطل برأسها حيناً وتختفي حيناً.. وهنا يأتي دور الإعلام الأمريكاني القائم على منطق السوق في قناة الجزيرة.. إنه لا يرفض هذه القيمة ولا يقمعها، بل هو لم يختر هذا النموذج (الإكس إسلامي) إلا لهذا.. هذه (القيمة) لا بد أن تتحول إلى (شيء) تمهيداً لتحويلها إلى (سلعة).. (تشييء القيم لتسليعها) هو العنوان الأكبر للحداثة وما بعد الحداثة في تعاملهما مع القيم.. وكلما كانت القيمة أشد عمقاً وتجذراً في النفوس، فستكون- حين تتحول إلى سلعة- أكثر رواجاً وانتشاراً في السوق!!

وكعصائر الفواكه المصنعة، سيصنعُ هذا الإعلامجي منتجاتِه الإعلامية: (سُكَّر لتحلية الطعم، وماء للسيولة، ومواد حافظة، ورائحة الفراولة أو التوت أو التفاح) دون فراولة أو توت أو تفاح... رائحة القيمة دون قيمة!!

أما المواد الحافظة في السوق فستكون خليطاً من التفاهة والسطحية والانتقائية وادعاء العمق، مع الدعاية الواسعة القائمة على ما يُناسب طبيعة المنتج دينياً وثقافياً واجتماعياً، ولا بأس باستخدام الغرائز أو الاستهانة بالمقدس لرفع حالة الترقب.. ثم إضافة ثمن الدعاية إلى سعر المنتج!!

لا تنس أيضاً أن هذا الإعلامجي إنسانٌ في النهاية محكوم بالأهواء والرغبات والسعي إلى تحقيق الذات وحب الإنجاز.. وهو يعمل ضمن منظومة علمانية متكاملة المنطلقات والخصائص، حَدِّيةُ الالتزامات والشروط، تؤثر عليه نفسياً واجتماعياً وتدفعه إلى الإبداع في (التشيىء والتسليع)؛ ليكون الأفضل والأشهر والأكثر رواجاً.. لا مؤامرة في الأمر غالباً.. قد تكون المؤامرة في الدخول إلى المنظومة ابتداءً.. أما بعد ذلك فإنَّ آليات المنظومة مسبقة الصنع ستتكفل بعملها تلقائياً!!

****

والآن.. كيف وصل هذا الشاب الإسلامي إلى هذا المستنقع؟! وما الذي حدث لنفسيته في رحلته الطويلة من تيهٍ لتيه؟!

إذا جاز لنا أن نستأنس بنظريات التحليل النفسي؛ فإن أغلبَ الظنِّ -وقد أكون مخطئاً- أنه تَعَرَّضَ لحالةٍ وأُصيبَ بتشوِّه.. أما الحالة فهي (سقوط صورة الأب)، وأما التَّشَوه فهو (التوحد بالمعتدي):

حالة سقوط (صورة الأب) في التحليل النفسي أصلٌ محوري تدور حوله آليات هذا التحليل.. والمثلث الشهير (ابن، أم، أب) هو الأساس -بحسب التحليل النفسي- في بناء نفسية الإنسان.. وفيه ومنه وعنه وبه تتأسس وتنطلق طرائق تعامل الإنسان مع الحياة والأشياء بعد ذلك!!

أولُ شيء ينبغي أن يُنظرَ إلى الإنسان من خلاله -في التحليل النفسي- هو أنه جاء إلى الحياة محتاجاً وإشباعُ كلِّ احتياجاتِه في يَدِ غَيرِه.. "يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد".. "والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً" يُهيِّؤ الله جل وعلا الأمَّ لإشباع احتياجات الطفل لتكون كالأرض للإنسان، منها وفيها مصدرُ عيشه الذي يُسقط به فقرَه، ومدرسةُ تَعَلُّمِه التي يمحو بها جهله!!

ولأنه محتاج إلى إشباع حاجاته الأولية، ففطريٌّ جداً أن يشبعها من خلال المصدر الذي جاء منه.. وطريقة إشباع احتياجاته الأولية من خلال أمه هي التي ستشكل بعد ذلك أنماطَ شخصيته.

يضع (جون بولبي) من خلال (نظرية التعلق) ثلاثةَ أنواع للتعلق: (آمن، ومتجنب، وقَلِق)، الآمن: يقوم- غالباً- على وجود الأم عند الحاجة لإتمام حالة الإشباع، فإذا تم إشباعه استقر في وعيه أنَّ مصدرَ أمانِه موجودٌ حين الحاجة.. والمُتَجَنِّبُ: يقوم -غالباً- على نُدرةِ تلبيتها لاحتياجه، فهو يحتاج فيجد، ثم يحتاج فلا يجد، ثم يحتاج فلا يجد.. ومع تكرار عَدمِ الإشباعِ لِعَدمِ الوجود ينشأ الإحباطُ الذي يدفعه إلى التجنب والكفِّ عن الاحتياج لشعوره بانعدام الجدوى.. أما القَلِق: فيقوم غالباً على الوجود المتقطع، وهذا النوع ينتج تعلقاً شديداً من الطفل بأمه حال وجودها خوفاً من خسارتها مرة أخرى!!

هذا ملخصٌ شديد الاختصار -وربما شديد الإجحاف- لأنواع العلاقات الأولية بالأم حسب ما يرى (جون بولبي).

حين يظهر الأبُ في سنة الطفل الثالثة أو الرابعة -باعتباره ممثلاً للقانون والثقافة والقيم-؛ يكون دخولُه عاملاً سلبياً حرمانياً في نظر الطفل لأنه حرمه لذتَه أو أَجَّلها.

يرى (فرويد) أن علاقة الطفل بأمه وعلاقة الأم بطفلها هي علاقة لذة في الأساس، أو علاقة إشباع احتياجات متبادلة.. وبعيداً عما دار حول هذه النظرية من تفاهاتِ ما سُمِّيَ بـ(العقدة الأوديبية الجنسية) فإننا نستطيع أن نتلمس في بعض جوانبها تفسيراتٍ مهمة لبعض تصرفات الإنسان.

هذا الأب الذي ترتبط صورته عند الطفل -بحسب فرويد- بالحرمان من عالم اللذة للدخول إلى عالم الواقع؛ هو الذي (يظن فرويد) أنَّ الطفلَ عَرَفَ قيمتَه من خلال اهتمام الأم وإعجابها به.. ثم هو أيضاً الذي تظن (آنا فرويد) -بعد ذلك- أنه يمثل عند الطفل صورةَ المعتدي الذي لا يستطيع مواجهة اعتدائه فيتلبَّسه متوحداً به مقلداً له في كلامه وزيِّه ومشيته وسائر تصرفاته.. ليكون هذا التوحد أولَّ توحدٍ بالمعتدي!!

أعرفُ أن هذه النظرية المتخيلة- والتي رفضَ ثلةٌ من علماء الغرب أنفُسهم الكثيرَ من تفاصيلها- لا تكاد تمت إلى حضارتنا الإسلامية بصلة.. بيد أننا نستأنس ببعض أجزائها العامة في تحليل ظاهرة الشاب الإسلامي المعاد تدويره وترحيله إلى تلك الحضارة التي أنتجت هذه النظرية!!

علينا الآن أن نفرق بين الأب الفعلي، وبين ما يسميه (جاك لاكان): الأب الرمزي الذي يُمثل المكانة الأبوية المستقرة، والتي يمكن أن نُعبِّرَ عنها بألفاظ مختلفة، مثل: الشيخ والمريد، القائد والأتباع، المدير والموظفون، الحاكم والشعب، الراعي والرعية.. بل إننا نستطيع أيضاً -وبتبجيلٍ شديد- أن نعتبر سيد البشر رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أباً معنوياً لهذه الأمة كلها: "النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم"؛ فكأن الأمة كلها أسرة واحدة لها أبٌ وأجداد؛ ابتداءً مِن آدم (الجد الأعلى)، ومروراً بإبراهيم (الجد الأوسط)، وانتهاءً -دونَ نهايةٍ- بسيد الأولين والآخرين محمد (الأب المباشر الخاتم) عليه وعلى أنبياء الله ورسله الصلاة والسلام.

في العقدين الماضيين كَثُرت صور المكانة الأبوية التي يمكننا أن نختار منها ثلاث صور هي الأكثر رواجاً وشيوعاً: صورة الأب السلطوي الشرير ممثلاً في الحاكم الطاغية.. وصورة الأب التنظيمي البديل ممثلاً في هرم الجماعات المختلفة؛ إسلامية وغير إسلامية.. وصورة الأب المثالي الشعبي الحرُ ممثلاً في الدعاة الجدد أو المفكرين أو الكُتَّاب أو ما يكبر في نفوس الأبناء علمياً ودينياً وثقافياً دون سلطة أو تنظيم.

حين انفجرت ثورات العرب في الأكشاك العربية دخل الشبابُ أو أُدخلوا في حالةٍ من نشوة المراهقة الجامحة؛ فـ(العيال كِبرت)، والآمال تفتحت، والقيود تحطمت، والمستقبل الواعد يفتح ذراعيه لاستقبال مُشْعِلِي الثورة وآباء عذرتها!!

السيولة في كل شيء كانت عنوان المرحلة.. تراوحت علاقة الشباب بصورة الأب بين الاحترام السابق مصحوباً بشيء من المعارضة الهادئة، وبين المعارضة الصاخبة مصحوبة بشيء من الرفض.. إلى أن استقرت العلاقة على الرفض الكامل والانعتاق من الصورة الأبوية التي رأى الأبناء أنها لم تكن على مستوى الحدث..

وحين وقعت طامة الانقلابات والثورات المضادة زُلزلت النفوس بعودة الأب السلطوي الطاغية ليثبت أقدامه بعنف أقسى وبطش أشد!!

اكتشف الشباب أن الصور الأبوية الأخرى- رغم رفض الشباب لها والانعتاق منها- لم تكن صوراً مبصرة، رحيمة، مستوعبة للواقع، قادرة على الفهم، مُعليةً لمصلحة الأمة والوطن؛ بل كانت صوراً زائفة، منافقة، ضئيلة القَدْر والقُدرة، محدودة الفهم أو معدومته، لا تملك مشروعاً واقعياً ولا منهجاً حقيقياً وإنما هو الوهم والتوهم!!

حدثت الكارثة، وشعر الابن باليتم حين لم يجد أباً يستحق صورة الأب، في الوقت الذي لم يستطع هو -لعدم اكتمال نضجه- أن يكون أباً!!

هذه الحالة التي قد يستهين بكارثيتها بعضُ المتعجلين؛ يمكن ببساطة- بحسب (جاك لا كان) أن تصيب الإنسان بالفصام الذُهاني الذي يوقع صاحبَه في الهلاوس السمعية والبصرية، والتشوش الفكري، والإنهاك الدائم، والشعور بالاضطهاد، والتعايش مع الأوهام والمعتقدات الخاطئة أو غير الموجودة واقعياً!!

أسقطَ البعضُ الصورةَ الأبوية على مستوى السياسة، كما أسقطها البعضُ على مستوى الدين، كما أسقطها البعضُ على المستويين.. وحاول البعضُ الاجتهاد لنفسه حسب حالته وظرفه، حتى كثرت المحاولات التلقائية لحل إشكالية سقوط الدور الأبوي في نفوس الشباب واتسعت مساحتها، وتداخلت آلياتها دون أن تبزغ فيها ومنها (صورة الأب المنشودة)، ودخلت الأمة مرة أخرى في حالة سيولة فراغية إلى الحد الذي وصل الشبابُ فيه -مدفوعين بالمرارة من السقوط السابق لصورة الأب- إلى إسقاط أية صور جديدة قد تُذَكّرهم بالمرارة السابقة.. حتى لو كانت الصورة الجديدة تمتلك أسساً أولية لما ينبغي أن تكون عليه الصورة الحقيقية!!

وحين لم يبق على الساحة سوى الأب السلطوي الطاغية المسنود بآباء النظام العالمي القادرين على التعامل مع الكارثة؛ ليس لأنهم الأقدر على حلها؛ بل لأنهم الأدرى بكيفية استخدامهم لنا.. حين حدث هذا حدثت عملية الترحيل أو الإحلال والتجديد أو إعادة التدوير للنموذج الإعلامجي سالف الذِكر الذي عاد -شَاعِراً أو غير شاعر- إلى أحضان الأب السلطوي؛ مصاباً بتشوه (التوحد بالمعتدي)!!

و(التوحد بالمعتدي) آلية نفسية (لا شعورية) نستطيع أن نُقَرِّبَهَا -ابتداءً- مِنْ نظريتيّ (ولع المغلوب بتقليد الغالب)، و(متلازمة ستكهولم).

المعروف أن التوحد عادةً يكون بالمحبوب الذي تهفو إليه الأرواح وتطمئن به القلوب وترتاح إليه النفوس؛ كتوحد المُتَمَثّلِ بالمثال أياً كان: مُريدٍ بشيخه، عاشقٍ بمعشوقه.. إلا أنَّ

(آنا فرويد) اكتشفت -وهي تتحدث عما يُسمى (ميكانزمات الدفاع اللاشعورية)- نوعاً آخر من أنواع التوحد؛ هو التوحد بالمعتدي الذي تَعَوَّدَ المصابُ به على اعتدائه فاستعذبه حتى لم يعد يشعر بالرغبة في الخلاص منه؛ بل صار وجوده تحت كنفه باعثاً على الشعور بالأمان والحماية والاكتفاء؛ تماماً كتوحد الخادم بالمخدوم، أو (خولي العزبة) بالباشا صاحب العزبة.. ورغم كراهية المعتدَى عليه للمعتدِي إلا أن التحرر منه سيوقعه في مأزق شرط الحرية الأكبر؛ وهو المسؤولية عن الذات والتصرفات في الوقت الذي لم يتدرب فيه على هذه المسؤولية أو يعرفها.. هو شيء أشبه بالخروج إلى العراء دون مظلة، أو الدخول إلى مأسدة بغير سلاح.. فإذا حدث وسقط المعتدي ودُفع المعتدى عليه إلى الحرية دفعاً فلن يجد أمامه آلياتٍ للتعامل مع الآخرين إلا آليات المعتدي ذاتها؛ فكأنه بذلك يُبقي المعتدي داخل نفسه ويتوحد به ليستجلب- مِنْ بقائه فيه ومعه-السندَ والحماية والأمان الذي كان ينعم بهم في ظله رغم اعتدائه، ويتلبس بشعور السيادة والسلطة والقوة التي ظَنَّ أنه تملكها حين توحد -لا شعورياً- بالمعتدي السابق الذي تجسدت فيه السلطة والقوة والسيادة.. تماماً كالطفل الذي أخرجه أبوه من عالم اللذة إلى عالم الواقع، ثم أبصره مهيمناً بالغ القوة لا قدرة له على دفعه والحلول محله؛ فَتَلَبَّسَهَ!!

الشعور بالنقص عند هذا المتوحد -وإن لم يظهر بوضوح- سيكون هو القاسم المشترك الأكبر في غالب تعاملاته مع الآخرين مِن جهة، وفي استجلاب كلِّ آليات الاعتداء التي مورست عليه مِن قِبل المعتدي ليمارسها على غيره مِن جِهةٍ أخرى.

****

حين ظن المتوحدون بالمعتدي من (الإكس إسلاميين) أنهم انعتقوا -بالثورة- مِن سيطرة الإعلام اليساري العلماني الذي كان يدكهم صباح مساء؛ لم يجدوا غيرَ آليات هذا الإعلام ليتعاملوا به مع الإسلام ذاته الذي اعتبروه (آخرَ) يجب أن يُقاوم، أو (صورةَ أب) يجب أن تَسقُط!!

هُم لم يروا من ذلك الإعلام -في تناوله للإسلام والمسلمين- إلا الجهلَ والوضاعةَ والانتقائيةَ والسطحيةَ والحقارةَ والهبلَ؛ مُغلفاً بطبقة من التنفج الثقافي المصطنع، وادعاء العمق والحياد، وحب الظهور بمظهر الساعي للحرية المحارب للتخلف الناجي من أمراض المجتمع وأفكاره البالية!!

فطبقوا كلَّ ذلك على غيرهم حذو النعل بالنعل والوساخة بالوساخة!!

الذي أوجعه مسلسلُ (العائلة) أو فيلم (الإرهابي) وأمثالهما لم يجد -حين انعتق من المعتدي- آلياتٍ للتعامل مع ما توهمه (صورة أب) سوى آليات المعتدي التي مورست عليه في مسلسل العائلة وفيلم الإرهابي:

تضخيم الأخطاء.. التركيز على الأمثلة السلبية وانعدام الأمثلة الإيجابية.. استجلاب الهامش وجعله مركزاً.. التعاطف مع الانحراف والمنحرفين.. وضع الانحراف والمنحرفين في صورة جميلة براقة محببة تدفع إلى التقليد، أو صورة مسكينة مظلومة تستجلب العطف والتعاطف.. جعل الجهاد -الذي هو فريضة إسلامية وفطرة إنسانية- إرهاباً أو عنفاً أو عملاً مسلحاً لا يُلجأ إليه إلا رداً لفعل؛ ثم إظهار أصحاب رد الفعل هؤلاء في صورة بائسة مترددة تتمنى الرجوع إلى الحياة الطبيعية المحصورة في ممارسة الحب وسماع الأغاني.. بالإضافة إلى بقية الاتهامات اليسارية العلمانية العبيطة عن نشوء المتطرفين في الأحياء الشعبية الفقيرة وخلفياتهم الاجتماعية المتدنية، وشعورهم بالكبت الجنسي الدائم، أو السعار الجنسي الدائم، وحصرهم دور المرأة في خانة تفريغ هذا الكبت فقط!!

كُلُّ هذه كانت آلياتِ مُعتَدٍ استخدمها متوحد!!

تستطيع الآن -وبسهولة شديدة- أن تلمس في إعلام المعارضة -إسلامي وغير إسلامي- حالاتٍ وآلياتٍ ومنطلقاتٍ شديدة الشبه بـ (أحمد موسى، وعمرو أديب، وعزمي مجاهد،

ولميس الحديدي ومحمود سعد.. بل؛ ويسري فودة، ومنى الشاذلي، وريم ماجد) في مستوى أعلى.. أما توفيق عكاشة؛ فأنا -عن نفسي- أعرفُ شخصين -على الأقل- لا أراهما إلا ويتمثل أمامي مشهدُ (تزغيط البط)!!

****

صُنَّاعُ فيلم (في سبع سنين) المتوحدون بالمعتدي استجلبوا آليةً علمانية يسارية موغلة في القِدَم والتفاهة والسطحية حين عرضوا مشاهدَ تمثيلية للفتاة التي ألحدت وخلعت الحجاب بسبب شعورها بالتناقض بين حديثها عن الحرية وارتداء الحجاب؛ لينغرس في نفسية المشاهد أن الحجابَ مظهرٌ من مظاهرِ العبودية لا بد من خلعه لتتحرر الفتاةُ على (كورنيش النيل) بشعرها الحرير (ع الخدود يهفهف ويرجع يطير).. لقد (هُرِسَ) هذا العبط مئات المرات في الكتابات والأفلام والمسلسلات اليسارية العلمانية.. بيد أني لم أعرف حتى الآن سبب إلحادها، هل هو الشعور بالتناقض بين الحرية والحجاب، أم هو الرغبة في السير على كورنيش النيل والهواء يداعب شعرها!!

الفتاة الأخرى التي صُورت كُلُّ مشاهدها -بصحبة المُحَاوِرِ المتوحد بالمعتدي- في غرفة النوم وهي تحتضن (الوسادة الخالية)؛ خلعت نقابها ثم ألحدت لأن زوجها كان يضربها.. هذا سببٌ آخر مهمٌ جداً للإلحاد اجتهد في اختراعه المتوحدون فأتوا بما لم يخطر في بال المعتدي ذاته؛ بل بما لم يخطر في بال الدهريين الأوائل!!

التصويرُ في غُرَفِ النوم أساساً، وإخراجُ هذه الفتاة بهذه الطريقة، وإظهارُها زائغةَ العينين مضطربةَ النفسِ والروح والجَسد لا تعرفُ ما تقول ولا ما تفعل؛ حالةٌ تستجلب التعاطف والشفقة في الوقت الذي يستحق فيه مرضى التوحد صُنَّاعُ الفيلم المحاكمة والعقاب على استغلال هذه الفتاة المريضة لإظهارها والتشهير بها بهذه الطريقة!!

أضف إلى هذا قائمةً أخرى من آليات العبط اليسارية متمثلة في الموسيقى التصويرية الحزينة حيناً والرقيقة أحياناً بحسب الموقف، ثم الحميمية الدافئة التي تصل إلى حد (النحنحة والمُحن) بين المحاور- المتوحد بالمعتدي- ونماذجه الملحدة رجالاً ونساءً، ثم تتبع الكاميرا للفتاة الملحدة حين خلعت حجابها في غرفتها المظلمة الكئيبة لتنطلق إلى شمس الحرية ونور الشارع، بشعرها الذي يتطاير في الهواء، مصحوبةً بالموسيقى التي توحي بتحقق الحلم والانعتاق من القيد.. (إذا كان هذا حياداً وعمقاً فأخبروني ما هو الانحياز والسطحية)!!

يتغير كل هذا فجأة حين يصل المحاورُ المتوحد إلى الجزء الخاص بسادة الدنيا وتيجان الرؤوس (المجاهدين)، ليجسدهم - في هيئة المتردد النادم الذي يتمنى العودة لما يسميه الحياة الطبيعية، أو في هيئة (رد الفعل فقط) دون امتلاك مشروع أو إيمان بفريضة.. ثم تنقلب الرقةُ قسوةً، والقربُ بعداً، والهمسُ صخباً، والنحنحة جدالاً ورفضاً، حتى يصل المحاور مريض التوحد إلى ذروة العبط اليساري في التعامل مع هؤلاء العظماء حين يسألهم -ملمحاً إلى الكبت العاطفي والحرمان من متع الحياة- عن أغانيهم التي كانوا يحبونها قديماً، أو قصص الحب التي عاشوها سابقاً أو يعيشونها الآن.. (هَبَلٌ لا أستطيع فهم نفسية صاحبه رغم محاولاتي المتكررة لفهمها)!!

هذا المتوحد المريض لا يستطيع أن يبرر مثلاً حالة المجاهد الأمريكي أو الأوربي المسلم، أو غير العربي عموماً ممن لم يتعرض للظلم ولا القهر ولا المجازر في بلاده، وتَرَكَ حياةَ الرغدِ والرفاهية والمُتع الحسية والمعنوية ليلتحق بإخوانه المجاهدين.. لا يستطيع أن يبرر ذلك لأنه لم يتعلمه في (الكيلاس) الذي أنشأه له الباشا اليساري صاحب العزبة ليمارس عليه فيه اعتداءه!!

*

على هذا المنوال تدفع الجزيرة القطرية جواريها للعمل، أو تجتهد الجواري من ذوات أنفسهن لمعرفتهن بالخط العام لسيدهن..

في إطار المناكفة المشتعلة بين الضرتين الأمريكيتين (قطر والسعودية) قامت إحدى جواري الجزيرة مِن شهر تقريباً بإذاعة تقريرٍ إعلامي استخدمت فيه أعبط تهمة يسارية علمانية يُتهم بها المجاهدون مُنذ زمن بعيد، وهي كونهم (صناعة غربية أمريكية)، تلك التهمة التي أنتنت رائحتُها من شدة قِدَمِهَا.. وعلى طريقة (رمتني بدائها وانسلت) -ولا أريد ذِكر المثل العامي المعبر عن هذا المثل الفصيح-؛ أرادت قطر اتهامَ السعودية بتصنيع الإرهاب المُمَثَّل في الشيخ الجليل المجاهد: أسامة بن لادن رحمه الله، ثم استخدام الشيخ وأمثاله من قِبلِ أمريكا لمحاربة الاتحاد السوفيتي السابق؛ ليظهر الشيخ رحمه الله وكأنه لم يجاهد الروس إلا انطلاقاً من كونه صنيعة المخابرات السعودية وسلاحاً من أسلحة أمريكا.. مع (تحبيشات) أخرى استقاها صُنَّاعُ التقرير المتوحدون بالمعتدي مِن دراسة قديمة للهالك هيكل استقاها بدوره مما يمكن أن نسميه نظرية (ضرب العدو بالعدو) التي عمل عليها مستشار الأمن القومي الأمريكي الأسبق بريجنسكي.

الغريب أنه في الوقت الذي كانت رسائل الشيخ الجليل أسامة بن لادن لا تُذاع ولا تُبثُّ إلا على قناة الجزيرة ذاتها؛ كان الجميع يعلم أن دور قطر في المسلسل الأمريكي المستمر منذ ما يقارب العقدين من الزمن هو دور احتواء الإسلاميين عموماً والجهاديين خصوصاً مِن القاعدة، لطالبان، لبعض فصائل العار التي صَنَّعتها قطر بأمر أمريكا في الشام المنكوب بالصنائع؛ (تماماً كدور الرحمة الذي يمثله ذلك الضابط المتوحش نفسياً في تلك المسالخ البشرية).. وربما يأتي اليوم الذي ينكشف فيه الدور الحقيقي لقطر في إفساد الثورة والجهاد الشامي على السواء.. وهو دور لا يُسلط عليه الضوء في الجزيرة بالطبع وإن كانت بعض خيوطه ظهرت في تصريحات وزير الخارجية القطري الأسبق في القنوات الأمريكية حين كان يدفع عن بلاده تهمة التحيز للإرهابيين؛ فيُصَرِّح بأن التنسيق مع الفصائل وطالبان والقاعدة تَمَّ (بطلبٍ/ أمرٍ) مباشرٍ من أمريكا؛ تماماً كما تفاخر وزير الخارجية القطري الحالي -دافعاً عن بلاده ذات التهمة- بستة

آلاف طلعة جوية قطرية في ثلاث سنوات ضمن التحالف الكافر لقتل المسلمين في العراق والشام.. ذلك التحالف الذي خَلَّف قَصْفُهُ الذي شاركت فيه قطر إزهاقَ أرواح أكثر من ثلاثين ألف مسلم مدني لا تزال بعض جثامينهم الطاهرة تحت أنقاض سيدة المدائن الموصل!!

صنائع يتهمون الأحرارَ بكونهم صنائع!!

****

إنَّ هذه الحالة المقيتة من الاستهبال الإعلامي، وخلط الأوراق، وقَيئ عفونات النفوس المريضة، وتكريس مظاهر الأمراض النفسية، والإشغال والتشتيت على طريقة (بُص العصفورة)؛ ستستمر معنا طويلاً، وسنعاني من فرقعاتها الطبلية وفقاعاتها الإعلامية كثيراً، فلا يخدعنكم عَرَضُ الداء عن جوهره، ولا فَرعُه عن أصله!!

هؤلاء الأوباش ليسوا إعلاميين؛ بل مرضى يحتاجون علاجاً في الوقت الذي يَدَّعُونَ فيه تقديم العلاج .. مأزومٌ يُعالِج مأزوماً كمجنون في يده خنجر!!

مُدُّوا الخَطَّ على استقامته، واعلموا أنه لن يخرج من هؤلاء خيرٌ وإن غُلِّف بالخير، ولن تحصل منهم الأمة على دواء وإن غُلِّفَ بالدواء.. ليس هناك سوى منطق السوق والمصلحة.. هذه الشاشات والمنصات الإعلامية ليست ضوءاً في آخر النفق؛ بل قطارٌ قادم!!

لا تخافوا من فتح جراحات الأمة لتطهيرها؛ فما من أمةٍ نهضت بعد عثرة إلا وقام نهوضها على أساسٍ من معرفة أسباب عثرتها.. بيد أنَّ الفرقَ كبيرٌ بين فتح الجرح لتطهيره، وبين صَبِّ الملح على الجُرح!!

****

شحيبر وشركاؤه المتشاكسون

(إلى صديقي الذي يصر دائماً على السقوط في الحفرة)

***

بحثتُ عن مَثَلٍ نظيفٍ أُقَرِّبُ لك به الصورة، فلم أجد سوى أمثلة وَسِخَة لا تصلح للكتابة في رمضان ولا في غير رمضان!!

أعترف أنني شعرتُ بالخوف على نفسي حين أحسستُ أن خيالي صار مريضاً إلى الحد الذي يعجز فيه عن الإتيان بمثال نظيف.. بيد أني عدتُ وأقنعت نفسي أن الواقع الوَسِخ من الصعب توضيحه بأمثلةٍ نظيفة!!

قال تامر لوائل: رأيت هاني الكهربائي يُعاكس أختك في الشارع

رد وائل: هاني لم يكن كهربائياً ولم يفهم قط في الكهرباء!!

طُرفة قديمة.. وربما (بايخة) لم تعد تُضحك أحداً.. بيد أني تذكرتها حين هَبَّ بعضُ الحمقى المستهبلين للدفاع عن قناة الجزيرة وجواريها بعد أن حذفت منصةُ (AJ+) التابعة للقناة تقريراً مرئياً تناول فيه صاحباه ما يُسمى (الهولوكست) بطريقة لا توافق النظرة الصهيونية أو اليهودية لها.. ثم لم تكتف القناة بذلك؛ بل طردت الصحفيينَ المسؤولَين عن نشره واعتذرت للصهاينة على موقع الجزيرة الانجليزي فقط، دون الإشارة إلى ذلك الاعتذار في موقعها العربي الموجه لإخواننا الطيبين عشاق الرأي والرأي الآخر!!

المبررون المستهبلون لم تشغلهم الجريمة التي اقترفتها الجزيرة في حق الصحفيينَ حين طردتهما -وهي سابقة غريبة ومتجاوزة لا أذكر أني سمعت بمثلها في القناة من قبل- ولم يشغلهم ابتلاعُ القناة لأكذوبة الرأي والرأي الآخر حين حذفت التقرير، ولم يشغلهم الاعتذار المُهين للصهاينة

والرضوخ الذليل لهم في الوقت الذي يستأسد فيه الصهاينة على أطفالنا ونسائنا ورجالنا العُزَّل قتلاً وقصفاً وتدميراً!!

لقد شُغلوا فقط بمناقشة ما زعموه (أخطاء منهجية قاتلة وردت في التقرير، ومدى مخالفة هذه الأخطاء للمعايير الصحفية الموضوعية المعتمدة في القناة ومنصاتها، والتي لا تليق بوسيلةٍ إعلامية كبرى بالغة التأثير مثل الجزيرة!!!).. هكذا استهبل أحدهم ضمن (طَقِّ حَنَكٍ) كثير كتبه ونشره، ثم أعادت نشره إحدى مذيعات الجزيرة المعروفات بتبادل (الردح) الإعلامي بينها وبين الذباب الإليكتروني السعودي.. ذلك الردح الذي يجعل القارئ يعجز عن التفريق بينهما!!

هذا الاستهبال وأمثاله ذكرني بوائل الذي (نَقَحَ) عليه عِرقُ الموضوعية فاعترض على كهربائية هاني المزعومة، وتغافل عن عِرضِ أخته المهتوك في الشارع!!

مناقشة هذه الكائنات عبثٌ لا طائل منه؛ لأن هذه الكائنات نفسها تعرف قبل غيرها أن مثل هذا الاستهبال في مثل هذه المواقف لا يُقصد به إلا التشويش على محل النزاع وأصله وإشغال الناس بما ليس محلاً ولا أصلاً.

إنْ سلمتَ- جدلاً- أن التقرير يخالف الموضوعية والمهنية المعتمدة لدى الجزيرة (وهذا غيرُ صحيح)؛ فما عليك إلا أن تقرأ وتسمع وتشاهد عشرات المقالات والتقارير المرئية والمسموعة والمكتوبة التي طفحت بها -منذ سنتين تقريباً- قناةُ الجزيرة وجواريها من منصات ومدونات؛ وستكتشف -إن كنت تملك مسكةً من عقل ومهنية- كَمَّ التهريج والانحياز والسطحية والتفاهة وإسقاط الحقائق أو الالتفاف عليها في كثيرٍ من الموضوعات المطروحة في العلم والسياسة والاجتماع والثقافة والدين؛ حتى وصل الأمر في بعض درجاته إلى الترويج للإلحاد والملحدين بالتشكيك -من طرف خفي- في الإسلام ذاته وتشويه علمائه بعلماء السلطان ثم جعلهم جميعاً

سبباً وحيداً أو أولياً لانتشار الإلحاد والكفر بالدين.. أما الهجوم على المجاهدين واتهامهم بأنهم صنائع أمريكا، فهذه (موضة) هذه الأيام في الجزيرة تحديداً بعد أن تقادم العهد عليها في غيرها من مستنقعات ما يُسمى الإعلام العربي!!

ستختفي ادعاءات الموضوعية هنا.. لا لشيء إلا لأنهم يرون أن الإسلام ليس له أهل يردون عنه، أو يطؤون على رأس من يتجرأ عليه كما وَطِئَ الصهاينةُ على رأس قناة الجزيرة وأجبروها على الحذف والاعتذار والطرد!!

ستجد في هذه المنصات سفهاً كثيراً وحمقاً وضجيجاً وافتئاتاً على الموضوعية وجهلاً؛ حتى تظن أنك في (سوق جمعة) فيه من (الخردوات) أكثر مما فيه من الأصيل.. كما ستجد أيضاً بعضَ موضوعيةٍ ومهنيةٍ وعمقٍ، مَرَدُّه -في الأصل- إلى اجتهادِ وفهمِ وثقافةِ منشئي المحتوى وليس إلى عارضيه!!

ربما تقول لي: إن ذلك السفه والحمق والجهل والافتئات مَرَدُّهُ أيضاً إلى مُنشئِيه وليس إلى عارضيه.. وهذا صحيحٌ تماماً.. ولكن لماذا لم تنتفض الجزيرة لتمنع هذا السفه والحمق والجهل عملاً بمعاييرها الموضوعية المزعومة، كما انتفضت ضد التقرير الذي عَامَلَتْ صاحبيه بعنفٍ غير مبررٍ وغير مسبوق!!

الجزيرة لم تحذف، وتعتذر، وتطرد، بسبب مخالفة الموضوعية المعتمدة لديها.. الجزيرة حذفت واعتذرت وطردت لأنها كغيرها لا تستطيع المساس بمقدسات الصهاينة المزعومة، ولا تجرؤ على الخروج عن الحدود المرسومة لها ولأمثالها!!

الجزيرة ليست الصورة التي تروجها هي أو جواريها.. ليست الصورة التي في ذهنك أنت.. ليست حاملة هَمِّ الأمة، ولا المتحدثة باسم الإسلام والعروبة.. ليست كهف الخائفين ولا ملاذ المبعدين ولا غياث المستغيثين.. هي لا تَدَّعِي ذلك وإنْ كانت تُحبُّ أن يَظنَّ أمثالُك

ذلك.. الجزيرة بوقٌ منحازٌ للسياسات التي أُنشئت من أجلها، تماماً كغيرها من الأبواق.. فإذا كانت بعض هذه السياسات تقوم على الاحتواء والتدجين وممارسة شيء من المقاومة أو العمق أو المهنية أو الاهتمام ببعض القضايا العربية والإسلامية من قبيل التنفيس وإراحة الذبيحة قبل ذبحها، فلا يعني هذا أن تحسب السراب ماءً أو الورم شحماً أو الصفيح اللامع في الشمس ذهباً!!

قلت لك مراراً وتكراراً: لا فرق بين (الجزيرة) و (العربية) إلا كالفرق بين عاهرة الحواري وعاهرة الفنادق.. (وأستغفر الله من هذه الألفاظ).. لا فرق بين هذه الأبواق كلها.. (الكلبُ أخو السَّلق).. فلماذا تصر -بعد كلِّ خروجٍ لك من الحفرة- على التقنع بقناع الدهشةِ الغبي ثم الوقوع في الحفرة التالية!!

لا مشكلة بين (شحيبر) وأبنائه وشركائه المتشاكسين.. الجميع يحب شحيبر.. المشكلة فيك أنت!!

منذ سنة تقريباً صَرَّحَ ولي العهد السعودي محمد بن سلمان، قائلاً: "إسرائيل لها الحق في العيش على أرضها بسلام".. قامت الدنيا ولم تقعد.. وحُقَّ لها أن تقوم فلا تقعد.. استغلت قناة الجزيرة ووسائل الإعلام الدائرة في فلكها هذا التصريح وزادت من وتيرة القصف الإعلامي الذي لم يتوقف بين الجانبين منذ اشتعال الأزمة الخليجية.. جاء التصريح في وقته تماماً وبدأت الحفلة والتحفيل!!

لاحقاً.. غرد حمد بن جاسم بن جبر وزير خارجية قطر الأسبق على تويتر غامزاً من قناة ابن سلمان، وكان من جملة تغريداته قوله: "أصبحنا أضحوكة نُبتز وتُهدر أموالنا بين صفقات غير مدروسة أو الدفع للوبيات في الدول صاحبة القرار حتى عندما نذكر أن للإسرائيليين الحق بأن

يعيشوا في أرضهم بأمان وهذه قناعتي منذ سنوات طويلة ومازلت. نستحي أن نذكر أن للفلسطينيين الحق نفسه أيضاً."!!

كُنتُ متكئاً فجلست.. قلت في نفسي: (جاء يكحلها فعماها).. قفز أمامي مشهد مصطفى متولي وهو يقول لعادل إمام في تلك المسرحية: "ما أنا كمان بحب شحبير"!!

أوقع ابنُ جاسم ذبابَ الجزيرة الإليكتروني في ورطة حين أطفأ -دون أن يدري- أنوارَ الحفلة وأخرسَ المغنين وخَرَّق الطبول!!

تحول كثيرٌ من المهاجمين لابن سلمان إلى مهاجمة ابن جاسم.. و(باظت الطبخة)!!

قلنا قديماً وشتمنا إخواننا الطيبون: "لم تنجح معاهدةُ كامب ديفيد في كَسرِ الحاجزِ النفسي العربي تجاه الكيان الصهيوني ورموزه.. وَحْدَهَا قناةُ الجزيرة فَعلتْ ذلك.. الخازوق -أحياناً- لا يَكونُ في يَدِ مَن يُهَدّدُ بِه، بل في يَدِ مَن يُنَدّدُ بِه"!!

كانت سنة ١٩٩٦م من السنوات الكبيسة -وما أكثرها- على الوعي العربي والإسلامي؛ ففي هذه السنة تأسست قناة الجزيرة التي مارست -على مدار عقدين من الزمن- أبشع أدوار تجريف التربة لغرس الوعي الزائف في العقول المُجرَّفة.. في هذه السنة أيضاً -إن لم تخني الذاكرة- بدأت قطر علاقتها التجارية مع ما يسمى دولة إسرائيل.. وإن كان الجميع يعلم أن علاقات جميع المحميات الأمريكية العربية -دبلوماسية واقتصادية- مع ما يسمى دولة إسرائيل سبقت هذه السنة بعقود طويلة!!

عن نفسي -وأظن أن كثيرين مثلي- لم أرَ محللاً سياسياً صهيونياً يتحدث في وسيلة إعلام خليجية قبل قناة الجزيرة.. بل لا أكاد أذكر أن هذا حدث في وسيلة إعلام مصرية بله أن تكون عربية قبل ذلك.. رغم أسبقية مصر في معاهدات الذل والعار والتطبيع.. لقد صارت الأسماء الصهيونية وجبةً شبه يومية في كثير من نشرات أخبار الجزيرة حتى اعتادت العينُ

العربيةُ على رؤية هؤلاء المغتصبين المحاربين واعتادت الآذان على سماع منطقهم الذي يدعو إلى السلام ويبرر وجود دولتهم أو يبرر دفاعها عن نفسها ضد الإرهابيين الفلسطينيين.. وشيئاً فشيئاً تسرب الاعتيادُ البصري والسمعي إلى النفوس ليتحول إلى اعتياد نفسي قلَّت معه حدة العداوة بالتدريج؛ حتى وصلنا -بعد عشرين سنة من تطبيع قناة الجزيرة الإعلامي مع الصهاينة- إلى ظهور كائنات عربية (مسلمة بالميلاد) في السعودية والإمارات ومصر وغيرها من المحميات العربية؛ تهاجم الفلسطينيين في كل مجزرة يديرها الصهاينة على أهل غزة.. ومن قبيل الرأي والرأي الآخر كانت قناة الجزيرة تستضيف المتحدث الرسمي باسم ما يسمى جيش الدفاع الإسرائيلي ليرد على العرب المنتقدين للمجزرة ويبررها بدعوى الدفاع عن النفس ضد الإرهابيين.. وكان غاية ما تفعله الجزيرة أن يأخذ الحماسُ مذيعةً أو مذيعاً -إيعازاً أو اجتهاداً- فيهاجم المتحدث الرسمي ويمسح به بلاط الأشياء ليصفق المغفلون فرحين بـ(فشة الخِلق) التي تريحهم نفسياً وتخفف عنهم عناء العجز وقلة الحيلة؛ تماماً مثل ذلك العاجز الذي (أوسعهم سباً وساروا بالإبل)!!

بالطبع لم تكن الجزيرة وحدها سبباً في ظهور تلك الكائنات العربية التي تخلقت في الجيف وظهرت لتناصر الصهاينة ضد الفلسطينيين.. الأسباب كثيرة ومعقدة وتحتاج إلى نقاش معمق لا يغفل سياقات الأوضاع الحالية في العالم العربي.. بيد أن الجزيرة حازت قصب السبق الإعلامي في إسقاط الحاجز النفسي -عربياً وإسلامياً- بيننا وبين الصهاينة!!

حين يخترق ما يسمى النشيد الوطني لما يسمى دولة إسرائيل آذان المسلمين في قطر، ويرتفع ما يسمى عَلَمْ ما يسمى دولة إسرائيل في سماء قطر؛ لا تسألني عن التطبيع.. لا تسألني عن تطبيع مصر أو السعودية أو الإمارات.. هذه محميات بعضها ظاهر العهر منذ زمن وبعضها اكتشف الطيبون أمثالُك عهرَهَا حديثاً.. ستظل مشكلتك أنت في العهر القطري الخفي الذي لم تكتشفه بعد أو لم ترد اكتشافه، لا لشيء إلا لأنَّ دورَ قطر في اللعبة كان دوراً احتوائياً

منزوعَ الدسم لأمثالك من الفارين من جحيم الانقلابات العسكرية على الثورات العربية، تماماً كدور السعودية في السبعينات والثمانينات والتسعينات في احتواء التيار الإسلامي الهارب من جحيم عبد الناصر، ثم مباركة ظهور الصحوة واحتواء غالب مشايخها بدرجات متفاوتة.. وها أنت ترى الآن ما تفعله السعودية في الإسلاميين ومشايخ الصحوة!!

أغرب ما حدث في هذه الواقعة تحديداً أن غالبية المغردين القطريين اعترضوا على ذلك التطبيع الرياضي.. وحده مذيع شهير في قناة الجزيرة برر هذا التطبيع بقيود السياسة وشروط ما يسمى كأس العالم.. ولكي تظل الدهشة الغبية تملأ وجهك عليك أن تعلم أن هذا المذيع فلسطيني الأصل.. وحين يصل مهرجان التبرير للجميع- فيما يخص التطبيع مع ما يسمى إسرائيل -إلى مذيعٍ فلسطيني الأصل ستعلم أنْ لا أحد-غالباً- محصن ضد الانزلاق النفسي تجاه العدو حين تصبح معايشة العدو (روتيناً) يومياً دون أن يكون المقصد من معايشته دراسته استعداداً لحربه.. وأنت في غنى بالطبع عن أن أقول لك إن هذه المعايشة ليست مقدمة حرب بل نتيجة هزيمة!!

الجزيرة ليست جمعية خيرية.. أعرف هذا.. وقطر كغيرها من المحميات العربية لا تمتلك قرارها امتلاكاً كاملاً.. الجميع أيضاً يعرف هذا.. لا تُلام قطر أو الجزيرة لومَ دولةٍ مسلمة منطلقة من منطلقات إسلامية.. ليس ثمة دولة مسلمة ولا منطلقات إسلامية.. مضى ذلك الزمن يا بُنَيّ.. الأصول الآن مخترقة والحصون مهدمة.. أنا لا أناقش تفاصيل الدوائر المسموح لقطر والجزيرة بالحركة فيها، أو الحدود القاطعة التي لا يُسمح لأحد بتخطيها.. كل هذا تجاوزناه منذ زمن.. أنا أريد فقط أن أفتح رأسك وأغرس فيها أن الجميع مثل الجميع بدرجات متفاوتة حسب الأدوار المرسومة.. ليس في القنافذ أملس.. الأدوار مرسومة منذ زمن وأنت كعربي أو مسلم لست موجوداً أصلاً.. لم تُدع إلى الحفلة ولم يُعمل حسابك فيها!!

حين بدأت الأزمة السعودية القطرية وحوصرت قطر حصاراً ظالماً، طَالَبْتَنِي أن أكتب شيئاً.. قلت لك: أَيْ بُنَي.. قنفذان يَتَسافدان بعنفٍ على قارعة الطريق، من الحمق أن تُدخل يديك بينهما.. إن وجدتَ من أحدهما بَعضَ خيرٍ فلا تَستَأنسه كَهِرة.. هو قنفذ في النهاية، إن استطعتَ أن تطأهما بحذائك فافعل، فإن لم يكن لك حذاء، فاصنع حذاءك.. اِصنع حِذاءَك وكُفَّ عن السيرِ حافياً في أرض القنافذ"..

شمتتني كعادة إخواننا الطيبين.. ثم ارتديتَ قناع الدهشة!!

هل كنتَ تظن أن (حفلة خاشقجي) كانت من أجل خاشقجي؟!

هل كنت تظن أن أخبار مجازر ابن سلمان وابن زايد في أهلنا في اليمن كان يمكن أن تكون وجبة يومية في الجزيرة قبل حصار السعودية والإمارات لقطر؟!

لقد كانت قطر مشاركة ومباركة لما يسمى عاصفة الحزم.. شاركت قطر في الدم اليمني، كما شاركت في الدم العراقي، كما شاركت في الدم الشامي!!

هي مصالح تتصالح أو تتناطح على أجسادنا يا بُنيّ!!

لم تكن حفلة خاشقجي التي أدارتها الجزيرة بمهارة تغطيةً إعلامية.. لم تكن محاولةً شريفةً لكشف الحقيقة.. لم تكن وقوفاً مع الحق المظلوم ضد الباطل الظالم..

كُف عن هذا العته!!

لقد كانت في الحقيقة حرباً قذرة تدور رحاها فوق جثة إنسان!!

خنزيران بريان همجيان متوحشان يتقاتلان على أشلاء فريسة!!

أمر ابن سلمان بقتل خاشقجي وتقطيعه بعد دخوله القنصلية بسبع دقائق.. قناة الجزيرة ظلت أكثر من ثلاثة أشهر تقتل خاشقجي وتقطعه في اليوم مائة مرة.. ولا زال الحبل على الجرار كلما سنحت الفرصة!!

فيلم الرعب الذي أراده ابنُ سلمان للكبار فقط، حولته قناةُ الجزيرة إلى فيلم عائلي!!

ضع نفسك مكان أبناء خاشقجي أو بناته أو أشقائه أو أقربائه، ثم افتح قناة الجزيرة وشاهد واستمع..

من غير الطبيعي أن يستمع الإنسان -على مدار الساعة- إلى تفاصيل تفاصيل التفاصيل عن الكيفية البشعة التي قُتل بها أبوه أو أخوه أو ابنه أو صديقه، لا لشيء إلا لأن محمية أمريكية اسمها (قطر) استغلت فرصةً ذهبية لإذلال محمية أمريكية أخرى اسمها (السعودية)!!

على مدار عشرين يوماً بعد الجريمة لم أشاهد في قناة الجزيرة نشرةً إخبارية واحدة اختلج فيها وجه مذيع أو مذيعة حزناً أو قرفاً أو شفقة وهو يسرد تفاصيل العملية كخبر عاجل.. مِن فقرة القتل، وحتى فقرة تهريب الجثمان، مروراً بفقرة المنشار، ثم فقرة الموسيقى المصاحبة للتقطيع، ثم فقرة الطبيب الشرعي الأسرع والأكثر حرفية، ثم فقرة تغليف أجزاء الفقيد المقطعة في أكياس بلاستيكية!!

كنتُ أدقق في وجه المذيع أو المذيعة جيداً وأنا في أشد حالات الذهول من الخبر وقارئه معاً!!

حيادٌ تام.. أو ربما برود جراح بريطاني يُجري عملية جراحية بطريقة آلية تعود عليها!!

أعرف أن ظهور علامات التأثر العاطفية على وجه قارئ الأخبار ليس من كمال إتقان المهنة، بيد أني كنت أشعر أن الأمر كان مريحاً لهم ولهن.. حتى تخيلت أنهم (ربما) سيبتهجون

أكثر إن جاءهم خبرٌ عن تفصيلة أشد بشاعة في عملية القتل ليتشفوا -بنشرها- في حليفهم القديم الذي يحاصرهم الآن!!

التشفي هو ما وصلني!!

التشفي في القاتل وليس الغضب للمقتول!!

كل تلك الضجة لم تكن حزناً على خاشقجي؛ بل كرهاً وتشفياً في ابن سلمان.. وإنه والله لحقيق بالكره والتشفي إن أصابه السوء في نفسه.. نسأل الله أن يعجل به عليه.

***

لا قيم ولا مبادئ في كل ما ترى..

هي مصالح تتصالح أو تتناطح حسب السياقات المتغيرة، ولا بأس أن (تُمَكْيَجَ) المصالح بأصباغ القيم والمبادئ لتخفيف ميكيافيليتها في عيون الطيبين من أمثالك!!

حدثني بعضُ من أثق به عن صديق له كان يعيش في قطر -قبل أزمتها مع السعودية-؛ قال: كتب صديقي تغريدةً لا تزيد على ثلاثة أسطر يهاجم فيها النظام السعودي حين كانت السعودية وقطر سمناً على عسل في الظاهر؛ فلم يمر عليه يومان إلا وهو مبعدٌ خارج قطر!!

هذا طبيعيٌ جداً في العلاقات السياسية بين المحميات العربية وقت الرضا، وطبيعيٌ أيضاً أن يشتعل (الردح البلدي) بين أبواق تلك المحميات وقت الغضب.. وإني والله لأخشى من السياسة البراجماتية القطرية على أولئك الشباب من رافضي الانقلابات في العالم العربي، المنفيين عن بلادهم بسبب ماضيهم الثوري، والذين تقاطعت مصالحهم (المبادئية) غالباً مع مصالح قطر البراجماتية دائماً، فاستخدمتهم الجزيرةُ ومنصاتُها، أو استغلوا هم الجزيرةَ ومنصاتِها، أو فتحت لهم قطرُ الجزيرةَ ومنصاتِها (صِفِ الصورةَ كيف شئت)؛ للهجوم على الأنظمة المعادية

لها وللثورات العربية.. أخشى عليهم من اليوم الذي تَقلِبُ لهم فيه قطر ظهرَ المِجَنّ حين تنتهي الأزمة الحالية بـِ(حَبَّةِ خَشمٍ) هنا وَ(حَبَّةِ خَشمٍ) هناك!!

أعرفُ أنَّ الوضعَ مُعقدٌّ جداً..

ولكني أعرفُ أيضاً أنَّ الصمتَ الغريب على واقعة الحذف والاعتذار والطرد هذه، مِنْ قِبَلِ بعض الكُتَّاب والنشطاء والعاملين والمتعاونين مع الجزيرة ومنصاتها ليس له من معنى سوى أن مساحة الحرية الممنوحة لهم لا تتجاوز السعودية والإمارات ومصر.. وهذه المساحة لم تُمنح لهم بالطبع من أجل عدائهم المبادئي مع هذه الدول بل من أجل عداء قطر البراجماتي معها.. وإني والله لأُجِلُّ كثيراً منهم عن أن يكون ذلك كذلك.. فهذا سيُحولهم من كتاب ونشطاء ومبادئيين إلى شيء آخر يؤسفني بشدة أن أشبهه بكلب الصيد الذي قال فيه الشاعر:

كَكَلبِ الصيدِ يُمسكُ وهو طَاوٍ فَريسَتَهُ ليَأكُلهَا سِوَاهُ

ولن يكون بينهم- بعد ذلك- وبين ذباب السعودية الإليكتروني أو مذيعي قنوات الانقلاب السيساوي وكُتَّابِه وأبواقِه كبيرُ فرق.. وحاشا لله أن يكونَ (بعضهم) كذلك!!

لا أقلَّ من الاعتراض والتنديد والاستنكار على الصفحات الخاصة، أو الإشارة إلى رفض تصرف الجزيرة المهين والمذعور في بداية المقالات أو مقدمات المحتويات المختلفة.. وقد رأيتُ- حتى الآن- قلةً منهم فعلت ذلك.. وهو محمودٌ مشكورٌ رغم قِلَّتِه!!

أيها الكُتَّابُ والنشطاء..

لقد استفادت الجزيرةُ ومنصاتُها منكم أضعافَ ما استفدتم أنتم منها، وأكبرُ فائدةٍ استفادتها الجزيرة منكم أنها تجملت بكم أمام الناس فسحرت أعينَهم عن براجماتية حقيقتها بمبادئية حقيقتكم، فلا تكونوا "كالتي نقضت غزلها من بعد قوةٍ أنكاثاً"؛ "فتزلَّ قدمٌ بعد ثبوتها وتذوقوا السوء" بسقوط حقيقتِكُم في مستنقع حقيقتها.." وإن أدري لعله فتنةٌ لكم ومتاعٌ إلى حين".